الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية أدرار

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث
(الربيع بوشامة أنموذجا)

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : أدب جزائري

إعداد الطالبتين:

- نواد مبروكة
- برجلاغي كريمة

إشراف الأستاذة:

- صنباوي كريمة

السنة الجامعية : 1438-1439 ه / 2017-2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

وخير ما نبدأ به كلامنا هو قول المولى عز وجل "ولئن شكرتم لأزيدنكم "

الحمد لله و الشكر الذي وفقنا لإتمام هذا العمل

وما يسعنا في هذا المقام أيضا أن نتقدم بخالص الشكر و إلى أستاذتنا المشرفة " صنباوي كريمة "

على ما حبتنا به من توجيه وتصويب في تقديم النصائح القيمة

كما لا ننسى أسرة قسم اللغة

والأدب العربي التي كانت بمثابة الحضن الأمن لنا طيلت مسارنا الدراسة بالجامعة ونتقدم

بالشكر الجزيل لكل من أعاننا بدعواته

وفي الأخير نسأل الله العظيم أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه

أنه ولي ذلك والقادر عليه و الحمد لله رب العالمين .

إهداء

قال تعالى :"ربِّ أوزِعني أَنْ أشكرَ نِعمَتكَ التي أَنعَمتَ عَليَّ وعَلَى والِدَيَّ وأنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرضاهُ وَ أَدْخِلني بِرَحْمَتك فيِ عِبادِكَ الصَّالِحين "سورة النمل الآية19

في البداية نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع كما أهدي هذا العمل إلى "أمي الغالية" التي ذودتني بالحنان والمحبة "أنار الله قبرها بالهدى و النور، وجعل الجنة مأواها ومستقرها"...

إلى سبب وجودي في الحياة .....أبي الحبيب أطال الله عمره وحفظه

إلى إخوتي وأخواتي وزميلاتي

كما يسعدني أن أتقدم بأسمى التقدير وجزيل الشكر إلى موجهتي و مرشدتي أستاذتي القديرة و المشرفة في هذا البحث *صنباوي كريمة*

وإلى كل أساتذة اللغة و الأدب العربي وخاصة *لجنة المناقشة

التي ستشرف على هذا البحث*

كريمة

اهداء

الى من جرع الكأس فارغا
ليسقيني قطرة حب
الى من كلّلت أناملة ليقدم لي
لحظة سعادة
الى من حصد الأشواك في دربي
ليمهد لي طريق العلم
الى القلب الكبير والدي العزيز"
أبـــــــــــــــي" الغالي أمد الله
في عمره
الى من ارضعتني الحب و الحنان
الى رمز الحب و العطاء دون
انقطاع و بلسم الشفاء
الى القلب الناصع بالبياض
والداتي الحبيبة "
أمـــــــــــــــي" الغالية
الى القلوب الطاهرة الرقيقة و النفوس
البريئة
الى رياحين حياتي "اخوتي و
أخواتي"
و الى كل من ساهم من قريب
أو بعيد في نجاح هذا العمل
اهدي ثمرة جهدي هذا
المتواضع لكم

مبروكة

مقدمة

يعتبر الشعر من أرقى الفنون الأدبية، و ذلك لما يحمله من قيم جمالية و إنسانية زادته رفعة و سموا، بالإضافة إلى ما يتوفر عليه من خصائص فنية مثل توظيفه لعناصر الطبيعة بما فيها من جماد و حركة، حيث حظي هذا التوظيف بنصيب بيِّن من النماذج التي صورها الشعراء العرب عبر العصور الأدبية المختلفة وبالحديث عن الخطاب الشعري الجزائري حديثا كان أو معاصرا نجده يتفاوت من حيث تمكن الشعراء من توظيفهم لعناصر الطبيعة بمختلف صورها .

فاهتمام الشعراء المحدثون بالطبيعة و دلالاتها كان حاضرا في مدوناتهم الشعرية، و من هؤلاء نجد الشاعر" الربيع بوشامة " الذي اهتم بالطبيعة و عناصرها المختلفة الحية و الجامدة، متخذا من دلالاتها المتنوعة رموزا للتعبير عن أفكاره و قضاياه، وربما هو ما اهتمت به دراسات عديدة سابقة ، تناولت موضوع شعر الطبيعة عموما وعند الجزائريين خصوصا . من هذه الدراسات مثلا :رسالة دكتوراه للطالب "**ملاس مختار"بعنوان"جمالية الأشياء في الشعر الجزائري المعاصر**" كذلك رسالة ماجستير للطالبة "**جحيش سهيلة"بعنوان "شعر شهداء الثورة "الربيع بوشامة أنموذجا**" .

أما الجديد الذي استشرفناه من هذه الدراسة هو أننا سلطنا الضوء على دلالة الطبيعة ورموزها في الشعر الجزائري الحديث و عند الشاعر"**الربيع بوشامة**" الذي يعد من أبرز الشعراء المحدثين إلا أن أعماله لم تنل حظها الكافي من الاهتمام من قبل الدارسين و الباحثين و ما زادنا اندفعا لاختيار هذا الموضوع هو ميلنا و اجتذابنا نحو شعر الطبيعة عموما وكذلك الرغبة في الكشف عن سمات الألفاظ الطبيعية ودلالتها عند الشاعر **الربيع بوشامة** و التعرف على ما أضافته تلك الدلالات من بعد جمالي في النص الشعري ، كما لفت انتباهنا قلة الاهتمام بدراسة شعر الطبيعة كموضوع للبحث دون غيره من المواضيع الأخرى.

وبه فمن الأهداف المرجو تحقيقها في هذا البحث هو استخراج معاني ألفاظ الطبيعة عند الشعراء العرب عامة وعند الجزائريين خاصة (الربيع بوشامة)،بالإضافة إلى العمل على تصوير القيمة الفنية و الجمالية للطبيعة في النص الشعري.و بالتالي تكون الطبيعة و تجلياتها في شعره موضوع دراستنا الذي تناولنا فيه الإشكاليات التالية:

ماهي أهمية المكان الطبيعي في الشعر الجزائري؟ ولماذا لجأ الشعراء إلى توظيف الطبيعة في أعمالهم الشعرية؟

ماهي مختلف صور الطبيعة التي تناولها الشعراء المحدثون الجزائريون؟

فيما تتمثل الأبعاد النفسية و الأدبية لمختلف الألفاظ الطبيعية التي وظفها الربيع بوشامة و ما المقصود من و رائها؟

ما مدى نجاح تجربة الشاعر الربيع بوشامة من خلال توظيفه للطبيعة في شعره ، و هل وفق الشاعر في التعبير عن أغراضه عبر دلالات الطبيعة؟

وللإجابة عن هذه الإشكالات اتبعنا الخطة المفصلة كالآتي :

مقدمة ، مدخل وفصلين وخاتمة ،حيث جاء عنوان المدخل الطبيعة في الشعر العربي تناولنا فيه مجموعة من نماذج شعرية في وصف الطبيعة عبر مختلف العصور ، والفصل الأول جاء تحت عنوان الطبيعة في الشعر الجزائري حيت ذكرنا فيه شعر وصف الطبيعة عند الشعراء الجزائريين قديما و حديثا ،أما الفصل الثاني فخصصناه للدراسة التطبيقية في شعر الربيع بوشامة ،ثم أنهينا الدراسة بخاتمة عرضنا فيها حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث ،و عليه فقد اتبعنا المنهج التاريخي والوصفي المبني على آلية التحليل والمناسب للكشف عن دلالات ورموز الألفاظ الطبيعية الموظفة في شعره و غرض الشاعر منها و السعي كذلك للتعرف على السمات الفنية و تحديد اتجاهها الدلالي.ومن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث قلة المصادر و المراجع المتناولة لشعر الطبيعة عند **الربيع بوشامة** بالإضافة إلى قلة اهتمام الشاعر بوصف الطبيعة وميوله الكبير نحو شعر الثورة ، إلا أننا استطعنا تجاوزها بفضل رغبتنا و إصرارنا الشديدين في إتمام البحث في الموضوع ، و كذلك بفضل نصائح و توجيهات الأستاذة المشرفة.

و في الأخير لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر إلى كل من ساندنا في إتمام هذا البحث و نخص بالذكر أستاذتنا الفاضلة **صنباوي كريمة** التي كانت دائمة النصح و التوجيه لنا فجزاها الله عنا ألف خير.

من اعداد الطالبتين :

نواد مبروكة و برجلاغي كريمة

ادرار في :2018/05/15

مدخل

الأدب العربي قديم النشأة ، والشعر الذي وصل إلينا من الجاهلية يمثل دورا راقيا لا يمكن أن يكون الشعر قد بلغ إليه في أقل من ألفين سنة على الأقل ، وهذا راجع إلى مواسم الشعر وأسواقه في ذلك الوقت ، حيث اتسع نطاق الشعر في الجاهلية ولم يبق مقتصرا على التعبير على الخيال والوجدان فحسب ، بل شمل ذكر المفاخر و وصف المعارك وتعداد بعض الحوادث ، حتى سمي بذلك " ديوان العرب " أي سجل تاريخهم.

ومع العلم فإن هذه الأسواق كانت في الأصل للتجارة ، ثم أصبح الناس يتخذونها مواسم قومية أو أدبية لاجتماعهم فيها ، فأخذ الشعراء يتداولون في هذه الأسواق ليشعر كل واحد منهم محامد قومه أو يدل على براعة نفسه ، و إذا نبغ الشاعر أتت القبائل فهنأت قبيلته ، ويباشر الرجال و الولدان لأنه (أي الشاعر) حماية لأعراضهم ، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم.[1]

وقد حاول الشاعر أن يعقد نماذج من التشبيهات المفصلة و الصور المحكمة والخيالات الفنية لإثارة الانفعالات الوجدانية و تغذية الخيال بالصور المتحركة حتى أصبحت هذه اللوازم أصل من أصول صناعتهم ،وكثيرا ما كان الشاعر يلقى عناء وجهدا في اختيار الألفاظ والمعاني التي يريد أن يوفرها لهذه الصناعة ، وتتضح أصول هذه الصناعة من نماذج القصائد التي كان الشعراء يحرصون في مطولاتهم عليها ، فهي تبدأ غالبا بوصف الأطلال وبكاء الدمن ثم ينتقل إلى وصف رحلاته في الصحراء ، و حينئذ يصف ناقته التي تملأ حسه وصفا دقيقا فيه حدق ومهارة[2].

وعادة ما يصف الشاعر ما يراه و ما يشاهده أثناء رحلاته، من الصحراء و أودية أو مطر، ومن أشهر الوصافين في هذا العصر امرؤ القيس الذي أطال في الوصف ، و أمعن فيه ، وأبدع تصويره ، ويتجلى ذلك في مقطوعة رواها عنه ذي الرمة الذي يصف فيها الغيث والسيل تلتقي كثيرا مع معانيها وصورها. [3]

ديمةٌ هَطْلاَء فِيها وَطْفُ طَبَقُ الأَرْض تحَرِي وَتَدر
تَحْرْجُ الوِدُّ إِذَّا مَا أَشْجَذَت وَ تُوَارِيه إِذَّا مَا تَشْتَكر
وَتَرى الضَّبَّ خَفِيفَ مَاهِرا ثَانِيا بُرْثنه مَا يَنعَفر
وَتَرى الشَّجْراء فِي رِيقه كَرُؤُوس قُطِعَت فِيهَا الخَمر[4]

[1]- ينظر: عمر فروخ – تاريخ الأدب العرب ج1، دار العلم للملايين ، ص –ب،1985، بيروت ، ص: 75-76.

[2]- .شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، ط1، 1119، النيل، القاهرة ، ج-م-غ-، ص: 220.

[3]-.شوقي ضيق ، المرجع نفسه، ص 221.

[4]- ديوان امرئ القيس ضبطه وصححه: أ/ مصطفى عبد الشافي: دار الكتاب العلمية، بيروت ، لبنان، 2004، 1425 هـ ،ص78-79.

فالشاعر يبدأ قصيدته بوصف السحاب وما ينتجه من مطر، فيصف هذا المطر بما يحدد زمانه وكمه ومسافته من الأرض و مساحته وحركته،والغالب على هذا الوصف توظيف الأسماء (ديمة –هطلاء–فيها وطف– طبق الأرض)؛وذلك للدلالة على ثبوت الصورة واستغراقها وقتا طويلا دون أن يصيبها تغير يذكر، ثم تأتي الأبيات الثلاثة ليبين الشاعر خلالها أثر هذا المطر على الأرض .

وشعر الطبيعة في هذه الفترة ارتبط ارتباطاً شديداً بين الشاعر وبيئته ، حيث كان الشاعر يملأ وقت فراغه بذلك الجو الهادئ و تلك الصحراء المقفرة ولذلك أثر في إدخال لون من التضخيم على صوره ، ليبعد عن نفسه الفراغ الكبير الذي يشغل باله ، وهو يجوب الأفاق ، فهو يعتمد على الواقع في تصويره ، ويدخل لهذا الواقع ألوانا من التخييل ، فكان الشعراء يذكرون الجبال في حديثهم عن البقاء ، باعتبارهم أن لكل شيء يزول وينتهي وله أمد ، ولم تبق إلا هذه الجبال التي تلوح صباح مساء ، والتي شهدت فناء أجيال طويلة من أسلافهم ، وفي هذا الصدد يقول "**لبيد بن ربيعة** "[1]

إِنْ يَكُنْ فِي الحَيَاةِ خَير فَقَد أَن ظَرَت لَوْ كَان يَنْفَعُ الأَنْظَار

عِشْتَ دَهْرا وَلَا يَدُومُ عَلَى الأَيَام إلاَّ يُرَمْرم وَتعَار[2]

يمكن القول إن شعر الطبيعة عند شعراء هذه الحقبة لم يكن إلا شعرا نفيسا ، قد أصبغه الحنين والشوق واللهفة وغيرها من الأحاسيس التي يلهبها الفراق ، فمظهر الجمال وحقيقته لا يظهر مباشرة أو عيانا لدى الشعراء الجاهليين وإنما هو حالة نفسية قد يعيشها الشاعر في تجربة شعورية تحرك فيه هذه المظاهر ، و **امرؤ القيس** من أكثر الشعراء الذي شاع في إبداعاته في التصوير الباطني و تجسيد الأحاسيس و المشاعر.[3]

ومع مجيء الدعوة الإسلامية ، اندفع العرب من جزيرتهم ينشرون الإسلام وتعاليمه السمحة في أقطار الأرض ففتحوا العراق و إيران و خرسان والشام ومصر وبلاد المغرب فساعد على ذلك تعرب هذه الأقطار سريعا ، ومما هيأ لتعربها نظام الولاء الذي أخذ به العرب أنفسهم في فتوحاتهم الواسعة ، وقد حمل الشعر الإسلامي في هذه الفترة رسالة التوحيد والدعوى إلى القيم العليا للدِّين الجديد ، ولهذا لم يبتعد بناؤه عما كان في رسوم الجاهليين وهذا ما نجده عند الشاعر "**لبيد بن ربيعة** " بعد إعلان إسلامه إلى قبيلته يذكر لهم البعث الجنة والنار ويقرأ لهم القرآن وكان شعره إسلامي قراءة للقرآن الكريم تهذب من لفظه وتدخل عليه قليل من الطلاوة ، ومن تم

[1]– ينظر : نوري حمودي القيس ، الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،ص ب 6348ص: 330–331.

[2]- ديوان لبيد بن ربيعة ،شرح الطوسي ،تقديم :د/حنا نصر الحق /دار الكتاب العربي ،جميع الحقوق محفوظة ،بيروت ،ط1، 1414هـ/1993م ص:78

[3]-ـينظر د/سليم كرام ـالطبيعة في الشعر الجزائري الحديث ،أحمد سحنون (أنموذجا) ،الجزائر وزارة الثقافة ص: 52–54

يقول فيه ابن **سلام الجمحي** : " كان عذب المنطق رقيق حواشي الكلام ، وكان مسلما رجل صادق[1] " ؛ويمتاز شعره بالدقة والتجزيء واعتماده على الصورة الحسية

وجمالا في السبك و الصياغة ، والروح الإسلامية ماثلة في تضاعيف أبياتها[2] على شاكلة في قوله:

بَلِينَا وَمَا تُبْلىَ النُّجُومُ الطَّوَالِعُ وَتَبْقَى الجِبَالُ بَعْدنَا وَالمصَانع

فَلاَ جَزْع إنْ فَرَقَ الدَّهْرُ بَيْنَنا وَ كُلُّ فَتىَ يَوْماً بِهِ الدَّهْرُ فَاجِع

وَمَا النَّاسُ إلاَّ كاَلدِّيَارُ وَأَهْلُهَا بهَا يَومًا حِلْوهَا وَغَدُّوا بَلاَ قع

و مَا المرْءُ إلَّا كَالشِّهَاب وَضَوئِهِ يحَورُ رَمَادًا بَعْد إذ هُو سَاطع

وَمَا البِرُ إلاَّ مُضْمَرات مِن التُقَى وَمَا المالُ إلاَّ عَارِيات وَدَائع[3]

إن عناصر الطبيعة في هذا النص كثيرة ومتنوعة تمثلت في (النجوم –الجبال –الرماد–الشهاب .....) يحدثنا الشاعر عن قمم الجبال الشاهقة التي تلوح صباح مساء ،وباعتباره أن كل شيء له أمد ، حتى الإنسان الذي شبهه بالشهاب الساطع الذي يظهر ثم يختفي، إذ يحور رماداً بعد أن كان ساطعا.

ويمكن القول إن شعر هذه الفترة قد وصل قليلاً جدًا ؛ و إذا كان من غير المنكر أن يكون قسم من ذلك الشعر قد ظل جاهليا في كل شيء ،فان من غير المستغرب أيضا أن نجد قسما آخر منه قد أصبح إسلاميا في أغراضه وكل هذا كان تأثرا بالقرآن الكريم وبالحديث النبوي الشريف.[4]

أما في عصر بني أمية ،فمن الطبيعي أن يؤثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي ، فكان الشعراء يستظلون بظلال تعاليم الإسلام ،يديعون في مختلف الأجواء عبير نسكهم[5] ، وإلى جانب شعر الطبيعة التي كانت ملهمهم على نهج أسلافهم في الجاهلية ، فلم يتركوا كبيرة ولا صغيرة في صمتها و لا في حركتها دون أن يرسموها في أشعارهم ، فهم يصورون فلواتها بكثبانها و رمالها وغدرانها و سيولها و خصبها ونباتها و أشجارها و حيوانها و طيرها[6] .....

و مضى شعراء العصر الأموي – على سنة آبائهم – يستلهمون صحراءهم مزاوجين على شاكلتهم من حب الطبيعة وحب المرأة ،إذ يفتتح الشاعر غالبا مطولاته بوصف أطلال الديار التي قضى بها شبابه مع بعض

[1]- /شوقي ضيف _العصر الإسلامي_تاريخ الآداب العربي 2 _دار المعارف بمصر ، النيل،القاهرة ،سنة 1119،ص:92

[2]_ ينظر:د/شوقي ضيف _العصر الإسلامي_المرجع السابق،ص: 93.

[3]_ديوان لبيد بن ربيعة _المصدر السابق ،ص:110

[4]_ينظر عمر فروخ ،تاريخ آداب العرب ،ج1،المرجع السابق،ص:256

[5]_شوقي ضيف ،العصر الإسلامي ،مرجع السابق ،ص:176

[6]_مرجع نفسه ،ص:384

صواحبه والحديث عن رحلته في الصحراء ، وما قطع من مفاوز على ناقته التي يسهب في وصفها ، لما لها من جمال في نفسه وهو بذلك يحدثنا كل ما تقع عليه عينه في صحرائه ويخلق أثراً في ذهنه من طير وحيوان في الأرض.

وعلى الرغم من أن جمهور الشعراء لهذا العصر عاشوا في بيئات متحضرة ، فإن الصحراء لم تجف ينابيعها في نفوسهم ، بل قد ظلت ملهمهم الأول في أشعارهم على نحو ما نجد عند مبرزيهم من أمثال **الفرزدق والأخطل وجرير** ، وخير ما يصور ذلك أبيات **للفرزدق** ، يوازي فيها بين طبيعة الصحراء ونهر **دجيل** وما يجيل فيه من سفن موازنة يعلى فيها **الطبيعة** الأولى علوا كبيرا[1] فيقول في هذا الصدد:

لَفَلَج وَصَّحْرَاوَاهُ لَوْ سِرْتَ فِيهِمَا أَحَبُّ إِلَينَا مِن دُجَيل وَ أَفْضَّل
وَ رَاحةً قَد عَودُونِي رُكُوبِهَا و مَا كُنْتُ رُكاباً لهَا حِينَ تَرحل
قَوَائِمُها أَيْدِي الرِّجَال إِذَّا انْتَحَتْ و تَحْمِلُ مَن فِيهَا قُعُود وَتَحَمل
إِذَّا مَا تَلْقِتهَا الأَوَادِي شِقُّها لهَا جُؤْجُؤ لَا يَسْتَرِيح و كُلْكل
إِذَّا رَفَعَ فيهَا الشِّرَاعُ كَأَنما قُلوصُ نِعَام أَوْ ظَلِيمُ شَهرَ دَل[2]

و الواضح أنه يتأثر أكثر بالطبيعة الصحراوية البدوية عن طبيعة البيئات الجديدة و ما فيها من أنهار وسفن تحمل الناس في رحلات نهرية ممتعة؛ وهو يعبر بذلك عن شعوره و شعور من حوله من الشعراء الدين فتنوا مثله بالصحراء و مناظرها الطبيعية أمثال "**ذي الرِّمة**." وهو من أكثر الشعراء في هذا العصر اندماجا و استفراغا لأحاسيس التآلف مع حبات رملها و ضبابها و ثيرانه وكل ما فيها من عناصر الحياة.[3]

و الصحراء في ديوان الشاعر توشك أن تحتل كل القصائد ، فهو يصفها بأدق النعوت و أجمل الأوصاف و إن كان حديثه عن سرابها أو جذبها و رحيل الأهل عن الديار التي تعودوها أو ما شابه عن دلالات صعوبة العيش فيها قد لون شعره [4]... فيقول:

---

[1]_شوقي ضيف ،العصر الاسلامي ،المرجع السابق،ص:385

[2]_ديوان الفرزدق ،تقديم الأستاذ /علي فاعود،دار الكتب العلمية ،جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب العلمية ،بيروت ، ط1_1787هـ،ص:430

[3]_شوقي ضيف ،مرجع السابق ،ص:386

[4]_سليم كرام ،الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث (احمد سحنون أنموذجا)،المرجع سابق،ص:68

نَظَرْتُ وَرَائِي نَظْرَةَ الشَّوْقِ بَعْدَماَ بَدَا الجَوُّ مِن دُجًى لَناَ والدَّسَاكِر
أَجْدَت بِأَغْبَاشِي فَأَضْحَت كَأَنَمَاَ مَوَاقِيرُ النَّخْل أَو طُلُوح نَوَاضِر
تَصَيفْنَّ حَتَّى اصْفَر أَقْوَاعِ مُطْرَقِ وَهَاجَتْ لِأَعْدَادِ المياهِ الأَبَّاعِر
وَطَار عَن العَّجْمِ العِفَاءُ وَ أَوْجَفَت بِرَيعَان رَقْرَاق السَّرَاب الظَّوَاهِر[1]

هنا يصور الشاعر حياته اليومية التي تعودها الإنسان العربي و ألف وجودها في حياته الطبيعية ، إلا أن في قوله رسم آخر وعلامة قد تجاوزت المألوف ، فهو يشبه بالرسامين الذين يحشدون في لوحاتهم جميع الجزئيات والتفاصيل، فهو يجسم صورة الحيوان وصورة الصحراء من حوله برمالها و مفازاتها وأعشابها ونباتاتها وغدرانها وهو في ذلك يبث في الحيوان مشاعر إنسانية ، وفي منظر الرحيل تصبح لوحة مفعمة بالمشاعر الحارة ، وهذه الأبيات تصور لحظة الوداع وخروج الجميع بحثا عن موارد أخرى و رباع ثانية تسعدهم وتحضن أمالهم ، ليعيشوا فيها امتداد عواطفهم بعدما خلفوا في أرضهم الجذب وغور المياه وفناء دلائل الحياة.[2]

أما جرير فقد أبدع في تصوير مظاهر الطبيعة ، وذلك في تجربة ليست ببسيطة لقد بنا صورتها من واقع قد تحقق بفضل مشروع الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، الذي شق نهيرات كروافد من نهر الفرات حتى تعمل على إنماء النبات و اخضرار الأرض فقال ينقل صورة المشروع وما حققه من نتائج [3]:

شَقَّقْتُ مِن الفُّرَات مُبَارَكَات جَوَارِي قَدْ بَلَغْنّ كَمَا تُرِيد
وَسُخِرَتْ الجِبَالُ وكُنَّ خِرسًا يُقْطَعُ فِي مَنَالِبُهَا الحَدِيد
بُلِغَت مِن الهَنَاءِ فَقُلتُ شُكْرًا هُنَاكَ وسَهْلُ الجَبَل الصَّلُود
بها الزَيتُون فِي عِلَل وَمَالَت عَنَاقِيدُ الكُّرُوم فَهُنَّ سُود
فَتَمَتْ فِي الهَنِيء جِنَان دُينَا فَقَالَ الحَسُودُ : هِي الخُلود[4]

فهذه صورة رائعة الحسن قد تحققت بفضل الخليفة الذي حقق بعمله جنة في الأرض، قد أثقلت بساتينها غلال المنتوجات من زيتون وعناقيد الكروم ، وقد زينت لوحة الإبداع وحملت في نظرات المنظر ، إذ التقطتها عين"**جرير** "ورسمتها ريشة وزينة في حسن وابتداع [5].

[1]–ذي الرُّمة ،تقديم و شرح :أحمد حسن –دار الكتب العلمية –سنة 1971 بيروت –لبنان ،ط2 ص:115.
[2]_سليم كرام ،الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث المرجع السابق ص:69
[3]_سليم كرام، المرجع نفسه،ص:71
[4]_محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ،شرح ديوان جرير ،مطبعة الصاوي بشارع الخليج المصري رقم 5294، ص:167
[5]_سليم كرام ،المرجع السابق ،ص:72

ويمكن القول في هذا الصدد أن شعر الطبيعة في هذه المرحلة قد تفرد فيه شعراء الرجز و أبدعوا فيه، وقد عني به جماعة من الشعراء البدو في الأكثر ، وتصرفوا فيه مدحا و فخرا وهجاء ، كما تأنقوا في أسلوبه و تكلفوا فيه الأغراض والمعاني وحسن الصنعة كما يفعل في سائر الشعر .

وذكر الدارسون من هؤلاء الرجاز" **أبو النجم العجلي** " و " **العجاج** " ومن بعده ابنه " **رُؤبة** " ، وقد احتفظ لهؤلاء بالعديد من نماذج فن توشح من خلال الجمال في تصوير مظاهر الطبيعة وعناصرها المتكاملة[1].

وفيما يخص الفترة العباسية، فقد حفلت بشتى التيارات الفكرية و العلمية و الأدبية وخصوصا الدينية، إذ أذكى الإسلام جذوة المعرفة في نفوس العرب فدفعهم دفعا قويا إلى العلم والتعلم ، فلم يمض نحو قرن حتى أخذت العلوم الدينية واللغوية توضح أصولها ، ولهذا سمي أو بعصر النهضة و الازدهار في الآداب العربية ، وأخذ العرب يلمون بما لدى الأمم المفتوحة من ثقافات متباينة ، وقد مضوا في هذا العصر يتقنونها و ينقلونها بكل موادها إلى لغتهم ، ونهض التعليم نهضة واسعة، وانطلقت كذلك حركة الشعر بوجه خاص والأدب بصفة عامة نحوا الأفق تستعير من البهاء المستفيض أروع الإبداع الذي زرع ، وهذا ما أدى إلى أن تتسع مدارك الفنانين ويسبحوا في عالم خيالي يحمل إلى دنيا الواقع كثيرا من الصور والمفاهيم [2].

إن تعدد الشعراء في هذا العصر و استفحال الصراع القائم بين الكثير منهم رجاء تحقيق مكانة مرموقة وتخليد أسمائهم في سجل خلود المبدعين ؛ دفع الكثيرين منهم إلى توخي حسن التصوير ، و استقطاب أفضل الصور الفنية و أغربها، و من أفضل الشعراء "**أبو تمام** " فقد ولع بالطبيعة حتى عدت إليه معشوقة و درة مكنونة استفرغ من خلالها أبرع معاني الوصف ، وولج بها قلوب الممدوحين فنال عندهم المكانة والاحترام[3] ليقول:

رَقَّتْ حَوَاشي الدَّهْر فِهِي تَمُرمِرُ وَغَدَا الثَّرَى فِي حُلْيِهِ يتَكسر
مَطَرُ يُذَّوِبُ الصُّخُورَ مِنهُ و بَعْدَه صَحْوُ يَكَادُ من الغُضَّارَة يمطر
غَيثَان فَالأَنْوَاء غَيثُ ظَاهرُ لَكَ وَجْهه والصَّحْوَا غَيثُ مُضْمر
يَا صَاحِبِي تَقَصَيا نَظَرَيْكُما تَرَيا وُجُوهَ الأَرْضَ كَيفَ تُصوَر
تَرَيا نهراً مُشْمسا قَد شَابهُ زَهْرُ الرُّبَا فَكَأَنما هُو مُقْمر[4]

[1]_ينظر : سليم كرام ،المرجع السابق ،ص:72

[2]-ينظر : ، المرجع نفسه،ص:72

[3]-المرجع نفسه ،ص:73

[4]-ديوان أبي تمام ،شرح الخطيب التبريزي ،تحقيق محمد عبدو عزام ،م2 ،ط4 ،دار المعارف ،1119 كورنيش النيل القاهرة ،ص:191_192

من الأجمل أن "**أبا تمام** " مولع بالطبيعة ، فقد اتخذت الألفاظ عنده معاني جديدة ، و توشحت بدلالات ما ألفتها العقول الحائرة ، لأنها تصدر من راهب قد اتخذ من الطبيعة معبده ، ومن جمالها المفعم صور هي أغور من النفس و أعمق دلالة ، فهذا المطر قد ذاب منه الصحو تجملا واستحسانا و احتراما[1].

و يتضح من هذا أن العصر العباسي يعد أول عصر في تاريخ الإسلام وحضارة العرب ، وازدهر الشعر فيه واستوعب مقوماته وخصائصه نافدين إلى أسلوب مولد جديد ، واعتمدوا فيه على ألفاظ واسعة بين لغته المبتذلة ولغة البدوا الجافية ، بأسلوب يموج بالجزالة والرصانة،حيت أخد يخص شعر الطبيعة بمقطوعات وقصائد كثيرة،وأصبحت من الموضوعات الجديدة الواسعة ، حيت كان الشاعر يمزج نشوته بها في بعض الأحيان بنشوة الحب أو نشوة الخمر وسماع القيان ، وفي كثير من الأحيان كان يقف عند تصوير فتنته بها وبرودها وريحانها.

[1]-سليم كرام ،المرجع السابق ص:74

الفصل الأول

الطبيعة في الشعر الجزائري

أ/ في الشعر الجزائري القديم:

كان بالجزائر قبل الفتوح العربية الإسلامية عناصر جنسية مختلفة ، جمهورها من البدو و من نزلوا بديارهم من الفنقيين و القرطاجيين و اليهود والرومان و الوندال ، الألمان و الإغريق و البيزنطيين ، ثم نزلها العرب و من انتظم في جيوشهم من أهل البلاد الإسلامية : إيران و العراق والشام و مصر ، و ظلت جيوش متعاقبة تنزلها في العهدين الأموي والعباسي ، كما ظلت جموع متفاوتة من هذه الجيوش تستقر في البلاد المغربية من برقة إلى المحيط الأطلسي مختلطة بالسكان وناشرة للإسلام و لغته العربية ، وعاملان أساسيان ساعدا بسرعة على نشر الإسلام ولغته هناك ، هما تعاليم الإسلام السمحة التي حررت البربر من ظلم الدول السابقة ، التي احتلت ديارهم قرون متطاولة[1] ، فاستطاع البربر أن يتعلموا العربية ، فظهر منهم بعد حين المفكرون و الأدباء؛ وهذا الأدب الجديد الذي قطع طرق طويلة عسيرة متنوعة ملتوية، متناقلا مرة ، مسرعا مرة أخرى مسايرا كل عصر و طابعه ، حتى انتهى كاملا مثقلا بهذا التراث العظيم المختلف.[2]

وطرق الشعراء جميع أغراض الشعر المعروفة عند إخوانهم العرب في المشرق فمدحوا ، وحفلت مدائح الملوك و الأمراء بذكر المعارك ؛ و خصوا الوصف بعنايتهم ، فرسموا ما رؤوا وصوروا ما شاهدوا وبينوا ما أحسوا وتغزلوا وأشتهر آنذاك فرسان يخوضون معارك القتال ويذكرون جلائهم في مواقف الأهوال ، ورثى الشاعر الجزائري الناس والأماكن وظهر التصوف و طرقه الشعراء منهم من نظمه بدافع التقوى ومنهم من نظمه تقليد لغيره ، ومن العبث أن نبحث عن الشعر الخمري عند الجزائريين ، فلم يتناولوا هذا الفن رغم اتصالهم الوثيق بالمشرق و الأندلس ، إلا أننا نجد شيء منه عند "ابن رشيق "الذي قضى معظم حياته خارج الجزائر في بيئة باذخة ، ونعثر عليه عند المتصوفين فهؤلاء قد رمزوا إلى الخمر في مدائحهم.[3]

فالشعر الجزائري عموما لا نلمس فيه مجونا ولا استهتارا فقد شملت ثلة من الشعراء خلال القرن الثاني من الهجرة ، حين تأسست الدولة الرستمية في تيهرت (296-160) هـ و أخذت تعنى بتعليم العربية ونشرها بين الجزائريين مثل: **الإمام الأفلح بن عبد الوهاب** الرستمي (240-211) هـ وله قصيدة طويلة في الدعوة إلى العلم والتعلم وبيان منزلة العلماء؛[4] وكذلك وصف الطبيعة غرض شاع عند شعراء المغاربة ،فقد ارتبطوا بطبيعة بلادهم الجميلة وأكثروا من شعر الوصف لجمال طبيعتهم ، واهتم شعراؤنا بوصف كل ما تقع عليه أبصارهم من

[1]_ينظر د/شوقي ضيف :تاريخ الأدب العربي ،عصر الدول والإمارات ،دار المعارف ،1119 كورنيش النيل ،القاهرة ،ط1،ص:110

[2]_ينظر محمد الطمار ،تاريخ الأدب الجزائري ،الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007،ن ط ،ص:387

[3]_مرجع نفسه ،ص:387_388

[4]_شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي ،المرجع السابق ،ص:112

مشاهد الطبيعة الصامتة، من الرياض ، والأزهار و الحدائق و الجبال و الأنهار والبحار و ما يروعهم من مشاهدها الحية المتحركة في الطير والحيوان الوحشي و الأليف ؛ و ذلك نلتقي بالشاعر "**بكر بن حماد**" الرستمي[1] إذ يصف البرد في بلدته تيهرت عاصمة الدولة الرستمية :

أَخْشَّن مَا البَّرد ورَيعَانه و أَطْرفَ الشَّمْس بتِهَارْت
تَبدُوا مِن الغِيَّم إِذَّا مَا بَدت كَأَنها تُنْشَر منْ تخت
فَنَحْن فِي بحْر بِلاَ لجُة تجَري بِنَا الرِيحُ عَلَى السَّمْت
نَفْرَحُ بالشَّمْس إِذَّا مَا بَدت كَفَرحة الذَّمي بالسَّبت[2]

فما أشد خشونة البرد و صعوبته وما أطرف طلوع الشمس في بلاده ، إذ تبدوا محجبة دائما من وراء الغيم وكأنها تنشر من وراء تخت أو ستر ضعيف ، وإنا لنشعر لشدة البرد كأننا في بحر بلا لجة ، و ما أشد فرحتنا بشمس حين تبدو كفرحة اليهود بيوم السبت يوم عيده الأسبوعي .

و إذا اتجهنا إلى تلمسان التقينا بشاعرها في القرن التاسع الهجري ابن خميس التلمساني ، بن عمر الحجري المعروف بابن خميس التلمساني ، أصله من اليمن ، ولد بتلمسان سنة646 هـ ، نشأ ودرس على علمائها ، وله قصيدة بديعة يتشوق فيها لرؤية مشاهدها و متنزهاتها[3] في مثل قوله :

تِلِمْسَان حَادتها السَّحَابُ الدَّوالجُ و أرْسلَت بوادِيهَا الرِّياحُ اللَّواقح
فَفِي كُلَّ شَفر منْ جُفونِي مَاتح و فِي كلَّ شَطر من فُؤادِي قَادح
كَتَمْتُ هَوَاهَا ثمَّ برَحَ بي الأسى وكَيْف أُطيقُ الكَتمَ و الدَّمْعُ فَاضِح
لِسِقايَة الرُّومِي عِندي مزية إنْ رَغَمْتُ تِلكَ الروَابي السوانِح
و كم لِي عَليهَا من غُدُو وَرَوْحةِ سَاعَدَنِي فِيها المنَّ والمنَائح
ظَبَاءُ مَغَانيهَا عِوَاط عواطِفُ وطيرُ مجَانيها شِوادُ صوادِحُ
عَلىَ قَرْيةِ العِبادِ مِنيِّ تحيةُ كَمَا فَاحَ مِنْ مِسْكٍ الطِّيمَةِ فَائحُ[4]

[1]_ينظر :شوقي ضيف :تاريخ الأدب العربي،ص:179

[2]_محمد بن رمضان شاوش ،الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007،ن ط ،ص:60

[3]_ينظر شوقي ضيف ،المرجع السابق ،ص:186

[4]-طاهر توات ،ابن خميس التلمساني –حياته وشعره-الجزائر عاصمة الثقافة العربية ،ط2007،1،ص:215-216.

إذ يعد هذا الشاعر دائم الحنين و الاشتياق إلى مدينة تلمسان ، إذ وصفها وصفاً جميلاً ، فينوه بمفاتن الطبيعة ، مبدياً حسرته على فراقها ، وهذا دليلُ على ما تحويه من أماكن جميلة تلهب قرائح الشعراء وتجعلهم يتغنون بجمال هذه الطبيعة الساحرة في عفوية وصدق ، كما فعل ابن خميس الذي انتقل بعد هذا الوصف الشيق إلى وصف شلال " **الوربط** " الشهير بغدرانه الذي يصبُّ بعضها في بعض وبحدائقه الزاهية المختلفة ، ومياهها وخضرتها و ما إلى ذلك من الروافد التي يستفد بها الشاعر[1] فيقول :

نَسَيت وَمَا أَنْسَاني الوَرْبَط وَوقْفهِ أُنَافِح فِيهَا رَوْضَة و أُفاوحُ
مُطلًا عَلَى ذَلك الغَدير و قَد بَدت لإنْسَان عَيني صَفَاه صَفَائحُ
أمَاؤُكَ أَم دَمعي عَشية صدقت عُليةُ فينَا مَا يَقُوكَ المكاشح؟
لَكِن كُنْت مَلَانا بِدَمعي طَافحاً فإني سَكرَان بحبِك طَافح
وَان كَانَ مَهْري في تَلاَعِك سَائِجا فاني عَزالي فِي عَبَابِك سَابِح قَرَاح
أتَى يَنْصَبُّ من رَأس شاهِق يمثِل حُلاهُ تسْحث القَرَائح
و أَصْفَى مِن الدَّمْع الذِي أَنا سَافحُ أَرقُّ مِن الشّوقِ الذِي أَنَا كاتم[2]

أما في عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني " في تاريخ الدولة الزيانية " فقد اشتهر في هذه المرحلة العديد من الشعراء في تلمسان منهم أبو عبد الله ابن يوسف القيسي الثغري و أبو عبد الله بن جمعة التلاليسي ، و أبو زكريا يحي بن خلدون ، وكلهم نوهوا بمدينة تلمسان معجبين بمفاتن الطبيعة على غرار ابن خميس، فهذا الشاعر أبو عبد الله القيسي يعرب عن افتتانه بمدينة تلمسان فيقول :

تَاهَت تِلمْسَان بحِسْن شَبَابها وبَدا طِرَاز الحُسْن فِي جِلبَابها
قَدْ قَابَلَت زَهْر النُّجُوم بِزَهْرِهَا وبِرُوحِهَا ببرُوحِهَا و قِبَابها[3]

و كان القيسي الثغري من شعراء السلطان أبي حموا الثاني وقد تغنى بجمال تلمسان في قصائده التي مدح بها أميره أبا حمو يقول في إحداها:

[1]_سعد بوفلاقة ،دراسات في أدب المغرب العربي ،منشورات بونة للبحوث والدراسات 1428هـ 2007م الجزائر ،ن ط ،ص:145

[2]–طاهر توات ،ابن خميس التلمساني–حياته وشعره–ص:217.

[3]–سعد بوفلاقة ،المرجع السابق،ص:146.

سُلْطَانها المؤلَى أَبو حَمُو الرِّضَّى ذُو المَنْصِب السَّامي الرَفيعُ المعْتَلي

تَاهَت تِلمْسَان بِدَولته عَلىَ كُلَّ البِلاَد بحِسْن مَنْظَرها الجلي

رَاقَتْ محَاسِنُها وَ رَقَّ نَسيمُهَا فَحَلاَّ بهَا شِعْري وَطَابَ تَغزُّلِي

عرِّجْ بمَنْعَرجَات بَاب جِيادُهَا وَافْتَحَ به بَابُ الرَّجَاءِ المقْفل[1]

لقد جمعت تلمسان بين سحرين سحر الطبيعة والتاريخ والمعمار ، وكانت بمثابة المصباح الذي تتحلقُ حوله فراشات الشعر و الإبداع.

ولكننا نجد أنفسنا مرغمين على توديع تلمسان و شعرائها لأن لنا شأنًا مع مدائن أخرى و شعراء آخرين كان لهم مثل أصحابهم ولوع بمدنه، .ومن هؤلاء الشعراء " مالك بن المرحل "الذي يعتبر من شعراء العصر المريني بالمغرب الأقصى الذي توفى عام699 هـ ، و المرينيون ، بنو مرين أو بنو عبد الحق هي سلالة حكمت بلاد المغرب الأقصى من القرن الثالث عشر ميلادي أي في القرن الخامس عشر ميلادي ، و اشتهرت بالشعراء الذين كانوا مولعين بمدنهم ، و من قول الشاعر" **مالك بن المرحل**" الذي تغنى بجمال مدينة سبته التي تتموقع في المغرب و هي عبارة عن شبه جزيرة مطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط تحيط بها مياه البحر الأبيض المتوسط من الجهات الثلاث الشمالية و الشرقية والجنوبية فيقول :

أَخْطَرُ إِلىَ سَبْتَة و انظُر إِلىَ جَمالِها تُصَّبُ إِلىَ حُسْنه

كَأنهَا عُودُ غِناء و قد أُلقي فِي البَّحْر عَلىَ بَطْنِه[2]

لقد حفل الشعر الجزائري بغرض الحنين الذي نكاد نعده من خاصية الشعر في الغرب الإسلامي لما طال القوم من ترحال ومعاناة و تنقلات واضطرابات فما كانت تسمع لهم الاستقرار و تبقيهم في أمان ، فكانوا يرتحلون هنا وهناك طلبا للأمان والاستقرار ، و طمعا في الحصول على عيش كريم حتى إذا طال بهم المقام في ديار الغربة تذكروا ما كان لهم من أهل و أحباب ، وعشيرة وبساتين فشدوا بما في ولائجهم متأثرين دامعين ، يقول الصّنهاجي المتوفى سنة(628) هـ في الحنين إلى أثار أسلافه :

[1]_المرجع نفسه ،ص :147

[2]_سعد بوفلاقة ،دراسات في أدب المغرب العربي ،المرجع السابق ،ص: 147

أَلَّا لَيْت شِعْري هَل أُبيتَن لَيلةً بَوَادِي الجوَى بَين تِلْكَ الجَدَاول
وَهَل أَسْمَعَن تِلْكَ الطُّيورُ عَشيَة تجاوِبُ فِي تِلْكَ الغُصُونِ البَلاَبِل
وهَلْ أَرِدْن عَينُ السَّلام عَلىَ الصَّدى فَأريدُ مِن حُر الضُّلُوعِ النَّواهل
و أُنظُر طَيقَان المنَار مُطِلة عَلَى الوُجَنَات الزَّاهِرات الخَمَائِل[1]

ومن المتفق عليه ، أن هذا الغرض قد تكاثر وجوده في المغرب الإسلامي في القرون العشرة الأولى ، وقد تعود العلّة في هذه الكثرة إلى كثرة التنقل الذي طبع الكثير من القبائل والأسر ، وكان الشعراء بطبيعة الحال جزءاً منهم فعبروا عن ذلك في قصائد مؤثرة تتبجس جمالا وتذوب طلاوة ، ومن هذا النوع ما تغنى به الشاعر **الأمير أبو حمو موسى الثاني** الذي يعلم المتلقي أنه تجرع غصة المنفى و الغربة **بفاس** ، والتي استمرت من سن الرابعة عشرة إلى سن السابعة والعشرون ، و كان كلما خلا إلى نفسه شده الحنين إلى الذكريات بمختلف صنوفها ، فيشدو بما كان ينفس عنه و لو لبعض الوقت ، مستعملا من شتى أنواع الألفاظ التي تشدو إليه حنينه كالألفاظ من الطبيعة وغيرها ، وما افتتح به قصيدة مطولة جمعت ما بين الموضوع السياسي والفخر الذّاتي : فيقول :

حَانَ الفُرَاقُ فَكُنْتُ مِنهُ بمنْزِلِ وَدَنَا الرَّحِيلُ فَكُنْتُ فِيه بِأَوْل
و تَحَكَم البَيْنُ المشَتتُ والنّوى و فِينَا بِفُتْكَة سَيفُه المتَكّلْكَل
وَبَدَا غُرَابُ البَيْن فِي عرَصَاتهَا يُرثِي عَليها مَنْزِلًا فِي مُنتَزل
والوَصْلُ وَلّى رَاحِلًا فِي إثْرِه قَاضِي الفُّراقِ عَلَى كُتيبِ محْجَل
خَلَت المعَالمُ والطُّلُولُ دَوَارِسُ وَذَوى الرَّياضُ و كُلُّ ربع مَزبل
والدّارُ أَمْسَت بَلقعًا من أَهْلهَا يرثِي عَليها كلُّ طَير أَليل[2]

يرى "**ابن رشيق القيرواني**" أن الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف ولا سبيل في حصره و استقصائه و هذا يعني أن باب الوصف عند العرب كان أوسع الأبواب و أكثرها شيوعا و انتشارا ، لأنه يدخل في الموضوعات الأخرى و يمتزج بها. [3]

[1] _ محمد مرتاض ، الشعر الجزائري القديم ، الجزائر وزارة الثقافة ، ص: 119

[2] _محمد مرتاض ، الشعر الجزائري القديم ، المرجع السابق ، ص: 120

[3] _عبد العزيز نقبيل ،شعراء المغرب الأوسط النازحون إلى القيروان قبل خرابها ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي تخصص أدب مغربي قديم للدكتور عيسى مدور ، جامعة حاج لخضر ،1430/1429هـ،2009/2008،ص:88 .

و العرب قديما لم يتركوا صغيرة و لا كبيرة في صمتها ولا في حركتها دون أن يرسموها في أشعارهم، فوصفوا الشهاب و الأودية و السراب...و ما يرافق انهمار الأمطار من برق و رعد، بالإضافة إلى ذلك فقد لجئوا إلى الطبيعة الحية المتحركة، وجعلوا منها عالم الحيوانات التي تشاركهم حياتهم كالخيل و الفرس و بعض الحيوانات البحرية وهذا ما نجدوه عند النهشلي يصف الخيل التي كانت ضمن هدية الخليفة الفاطمي بالقاهرة إلى المنصور بن بلكين الصنهاجي سنة 384هـ فيقول :

وبُلقُ تَقَاسَمْنَ الدُّجنَةَ و الضُّحَى فَمن هَذِه شَطْر وَ مَن هَذِه شَطر
صَفَر كَأَنَّ الزُعفران خِضَابها و إلاَّ فَمِن مَاء العَقيقِ لها قِشر
و شُهْب مِن اللُّجّ اسْتعيرت مُتْنوهَا و مَن صُورِ الأَقمَار أَوجُهُوهَا قَمَر
عَليهَا السُّرُوجُ المْحكَمَاتِ إذْ مَشَت بهَا خُيلاَءِ الخيلِ رِنُحُها كبَر[1]

يلاحظ الشاعر **الخيل** و يصور لنا فيها السواد و البياض، فكان الظلام و النور اقتسمها لون الخيل و أعطى لكل نصيبا، و من الخيل كذلك ما لونها أصفر خضبت بالزعفران أو بقشر من ماء العقيق، و من الخيل كذلك شهب اختلط فيها بياض الشعر بسواده كأنها استعارت ظهورها من الليل و ظلمته الشديدة و أما وجوهها فمضيئة ضياء القمر الساطع، و تمشي مزهوة بنفسها الخيلاء المتعالية، فالشاعر استعمل تشابيه كثيرة و رسم من خلالها الألوان المختلفة للخيل التي أعجب بها.

كما يلاحظ أن الشاعر **النهشلي** لم يخرج على سنن ممن قبله في الاهتمام بتدقيق النظر في جسم الحيوان ووصف جميع أعضائه فقال في وصف **الفيل**:

وأضخمُ هنديّ النَّجَارُ تُعِدَّهُ مُلُوكُ بَني سَاسَان إنْ نَابهَا دَهر
يجيءُ كَطَود جَائِل فَوْقَ أرْبعِ مُضْبَّرَةُ لمِتْ كمَا لمِت الصَّخر
لَهُ فِخْدَان كالكثُيبَين لَبداً وَصَدرُ كَمَا أوْفَى مِن الهَضَبَةِ الصَّدْر
وَوجُهُ به أنْف كرَاوُوق حُمرَة وَصَدْرُ كَمَا أوْفَى مِنَّ الهَضَبَة الصَّدْر[2]

وما يلاحظ في هذه القصيدة كثرة التشبيهات ، كما غلب الطابع الحسي على عموم صوره ، وجعلها قريبة المأخذ حتى كاد يجعل الخيل الضخم يتحرك أمامنا و هذا أسلوب محمود في الوصف عند القدماء، فشبه **الفيل**

[1]_المرجع نفسه ،ص:88

[2]_عبد العزيز نقبيل،شعراء المغرب الأوسط النازحون إلى القيروان قبيل خرابها، المرجع السابق ،ص:87

بالطود في ضخامته و هو من التشابيه المألوفة في القصيدة العربية ، و شبه فخذيه بالكثيبين و شبه أذنه بنصف البرد ، وشبه أنفه بالراؤوق ، و غير ذلك من التشابيه المزدحمة بين ثنايا الأبيات التي أحاطت بوصف المشهد.

و يتضح لنا أن الشعر قديما تنوعت أغراضه، واتسعت مجالاته و امتزج المديح بالشعر السياسي و اعتنى الشعراء بالوصف على أوسع نطاق ؛إذ نشط شعر وصف الطبيعة ولم يكتف الشعراء بجعله مطية لغرض واحد و متكأ له و إنما أفردوا للطبيعة قصائد لوصفها فصوروا مفاتنها و وقفوا عند كل جزئية من جزئياتها.

ب /في الشعر الجزائري الحديث:

يعتبر الشعراء الجزائريون ذو النزعة الوجدانية مثل غيرهم من الشعراء، استعانوا للهروب من واقعهم بالحنين إلى الماضي المشرق وذكريات الطفولة البريئة ولجئوا إلى أحضان الطبيعة لجوء المتعب من أدران الحياة و المجتمع تتلاءم ونفوسهم التي تترع إلى الهدوء و التأمل ،وهي في هذه الحالة تغدو عالما مثاليا أو معادلا لما يفتقده الشاعر في واقعه المعيش ،خاصة عندما ينتقل عليه الواقع ويسيطر عليه الشعور بالكآبة .فيصبح الهروب إلى الطبيعة نوعا من الرفض لهذا الواقع أو لنقول إن الشاعر يهرب للشعر كي يبتكر عالما بديلا عن العالم الذي يحيا فيه وهو عالم الهزيمة و الانكسار[1]

ومن المشاهد الطبيعية التي استوقفت العديد من الشعراء نذكر منظر "**البحر**" الذي استوقف البعض منهم واجتذبهم في حالتي السكون الهادئ و الثورة الفاضلة ، وظلوا أمام البحر يناجونه كما عرف عند الرومانسين فهم يلجأون إليه التجاء المكروب و يرتاحون إلى مرآه ارتياح المتعب . وغدا عندهم مظهر للحرية اللامتناهية التي هم دائموا البحث عنها . ومعبراً في الوقت نفسه عن الثورة المتجددة الرافضة التي تتلاءم ونفوسهم الكئيبة الحزينة.

ومن هؤلاء الشعراء الذين استهواهم البحر هذا الاستهواء المغري ، فلجئوا إليه و أفضوا له بما يجدونه في نفوسهم من عناء الحياة و المجتمع نجد الشاعر "**الطاهر بوشوشي**" إذ يعد البحر بالنسبة إليه منظراً يحرك في نفسه الشاعرية الفياضة .فيطلق العنان لخياله فيجول به على اللجَّج الخضر ويمزج صوته مع الموج ، كما يعد شاطئ البحر عنده هو المكان المفضل الذي يشعر فيه بذاتيته حيث يشعر بأنه بعيد كل البعد عن دنيا الناس بل إنه يشعر و كأنه ليس في الدنيا إلا هو وحبيبته حيث يخاطب طيفها و يناجي روحها [2] قائلا :

نَجيَةُ الرُّوحِ هَذا البَّحْر مَنْظرُهُ كَلَونِ عَينَيْكَ يُوحِي السِّحْرُ وَالعَجَبَا
وَيُطْلَقُ الرُّوحُ مِن أَغْلاَلِ وَحْشتها فتنبري نغمة مسحورة وصبا
إنِي لَأَنْظُر للبَّحْر الذِي سَلَبْتَ أَمْواجُهُ سِحْرَ عَينَيكَ الذِي سَلَبا
هَامُوا بِالبَّحْر وَهمنَا فِي محَاسِنَكُمْ شَتَانَ مَا بَينَنَا فِي الحُّب مُنتَسِبا [3]

[1]_عبد الحميد هيمة ، الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري ،اتحاد الكتاب الجزائريين ،دار هومة ،ط 1، الجزائر ،2003 ص:126

[2]_ينظر :المرجع نفسه ،ص:126

[3]_مقدمة الطاهر بوشوشي من قصيدته (أحلام الصيف) مجلة هنا الجزائر 1954/11/29 ، ص: 10

و يقول في موضع آخر من القصيدة :

هَلْ تَذكُرُ الصَّيفَ يَا حَبيبي وَ روعة الشَّاطئ العَجِيب
هَلْ تَذْكُر البحَر وَهو زُهو كَأنهُ مَهْبط العُيوب
تَرَاهُ إنْ فاضَ أَوْ تَوَلَى يُصَبُّ نجوَاهُ فِي القلُوب[1]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات كيف أصبح منظر **البحر** ، ومنظر الحبيبة يكونان لدى الشاعر صورة واحدة وهذا المزج الرائع بين رسم الطبيعة من خلال الإحساس بها و المشاعر التي تنتابه جاء نتيجة شعور بالهروب و الالتجاء إلى حضن أمن .

كما اختار الشاعر أيضا ساعة الأصيل أو لحظة غروب الشمس ليعبر من خلالها عن شعوره بأن الغروب عنده إنما هو غروب لأوقات الهناء وانقضائها ، فتذكر لحظة الغروب إنما هو في حضن من يحب ، فاستبدت به لوعة الحرمان وهو في بحبوحة السعادة فانتابه الحزن و الأسى على تلك الأيام التي مرت ، وكان فيها يعيش أحلى لحظات عصره وتمنى حينها لو يعود به الزمان إلى الوراء ليحيّي تلك الذكرى من جديد ، و يتخلص بذلك على كل همومه وأحزانه . ونلتمس ذلك في الأبيات التالية :

نَعَم تَذكرتُ ياَ حَبيبي أُنْشُودَة الشَّاطِئ الطَرُوب
وَإذَّا وَقَفْنا به أَصِيلاً نَصِيح للمَوْجَة اللَّعوب
كَأَنَهَا بَسْمة الأمانِي وفَمن طَفُو إلىَ رُسوب
وَالشَّمْس صَفْراء تَدَاعَتْ كَالوَرَس فِي رَوْضة المغِيب[2]

فيبين تداخل مشاعر التحسر بمشاعر الغبطة و السرور و انتفاضة القلب، وهو بين الواقع المر و الماضي السعيد جعلا الشاعر **بوشوشي** يطلق على شاطئه هذا أوصافا تبدو متناقضة فهو عنده شاطئ طروب حينا ومريب حينا أخر، وتغيرت نظرة الشاعر للبحر حيث أصبحت أمور ثلاثة كلها تتسم بالحرمان والشقاء .

[1]_ مقدمة الطاهر بوشوشي المرجع السابق ، ص : 10
[2]_المرجع نفسه ،ص: 20

فالبحر يذكره بعهود الشباب التي انقضت وتولت إلى غير رجعة ويذّكره، باليوم الذي فارقته فيه حبيبته ، كما يذكره أيضا بساعات السعادة و لحظات الهناء التي انقضت و لم يترك له سوى المحنة و الآلام و من ثم فهو يرى في رمال الشاطئ جانبنا الجمالي لأنه يذوب في لظى حسراته على ما مضى من عزّ كان فيه ،فيقول:

عَلىَ البَّحْر حَيثُ دُمُوع العُبَاب تَسِيل وَقْفَت أَسِيل دُمُوعي
وَ أَسالَهُ عَن عُهودِ الشَّباب وَقَلبِي يخَفَقُ بينَ ضُلُوعي
عَلَى الرِّمَال حَيثُ يَذُوبُ الشُّعاَعُ وَقَفْتُ أُذِيبُ لَظَى حَسراَتِي
واذْكُر يَومَ النَّوَى و الوَدَاع فَيُمْتَزج الدَّمع بالزَفرَات[1]

أما الشاعر "**عبد الله شريبط**" فقد ثارت في نفسه نوازع مختلفة تمتزج فيها مشاعر الاعتزاز بماضي الأجداد الفاتحين بمشاعر الحسرة من الواقع المرير المليئ بالقمع الاستعماري الرهيب ومن ثم فالشاعر لا يسمع في الأمواج المرتطمة على الصخور غير مناحات مريرة تندب أيام العز الماضية فيقول :

أَلاَّ أَنْدَب ، وَأصْخَب وَارْتَطِم وَتهَدِم وتضَرّجُ أَهَازِيجُ المَنَاحَةِ بالدَم
عَلىَ هَذِه الأَمْوَاجُ يَا مَوجُ إنها تُراثُ جُدُود قَد أَفْلَن كَأَنجم
فَلِلَّه مَا تَلْقَى وَتُنَهَد صَاخُبا عَلىَ صَخْرِكَ الجَاثِي كَحُلْم محَطَم
وَقَد كَانْت تَعْلوكَ السَّفِين فَتَزْدَهي وَتَرْفَعُهَا مِثْل العَشيقِ المتَيم [2]

وعندما حاول الشاعر المقارنة بين ذلك الماضي الذهبي الذي كان فيه الأجداد أسيادا ، وبين الحاضر المؤلم الذي يتعرض فيه أحفادهم للقمع الاستعماري الرهيب ،وجد البون شاسعاً والفارق يبعث على الحسرة و الآلام و لا يملك سوى الزفر في تشاؤم مرير قائلاً:

فَيَا بحْر لاَ تَنْدَب شَقَّانا فَإنَنَا كَصَمْتِ جَلِيد بالضَّبَابِ مُعَمَم
كَذَلِكَ نحيَا ثمَّ نمضِي كَأنَنا لحَظَات وَ بِسِنَان تمُر كَأَسْهم[3]

[1]_مقدمة الطاهر بوشوشي المرجع السابق، ص:26

[2]_شريبط أحمد شريبط ،ديوان الرماد ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،ن ط 1969، ص: 101

[3]_ شريبط أحمد شريبط، المصدر السابق، ص: 104

كما يعد الشاعر "**عبد الكريم العقون**" من بين الشعراء الجزائريين المولعين بالطبيعة المائية كذلك ففي قصيدته "**من وحي البحر**" تبدو معاناته عميقة وأسبابه عديدة ومنها تنكر الرفاق ، وفقر الحياة في جو المدينة و ظلم المستعمر كذلك جعل الشاعر غريباً في واقعه لا يجد شفاء لحاله إلا في البحر يناجيه كما يناجي العبد خالقه فيجده وطنه الحبيب و ملاذه و مهربه الوحيد ، على الرغم من أنوائه وأهواله فيقول :

هَا أَنَا اليَوْم قَد وَقَفْتُ أُنَاجِي كَ أَيَا بَحْر فَاسْمع لِنَشدي
فَكِلاَنَا فِي مَوْقِف نَتَنَاغى بِأَغَانِ سِحرِية التَّرْدِيد
إِنَكَ اليَّوْمَ مُؤنِسِي وَ سَمرِي يَا نَجيبي فِي قَفْر هَذَا الوُجود
سَكَنْتَ نَفْسِي الحَزِينَة وَارْتا حَتْ إِلىَ حُسْنِكَ البَّديع الفرِيد
هَلْ أَرَى فِيكَ بَلْسَمًا لجُروحي أَوْ أُلاقِي تحَرُرَا من قُيودِي[1]

و كثيراً ما كانت الطبيعة تحيل الشاعر "**عبد الكريم العقون**" إلى عالم الطفولة و تعيده إلى الذكريات حيث تنتفي الغربة و الوحشة ، و لعل قصيدته في النهر بمسقط رأسه **برج الغدير** خير ما يفصح عن غربته و حنينه فحبه للبحر ليس حبا سطحيا بل هو اندماج صوفي مع الطبيعة و افتنان بها . حيث أحيا الطفولة فيه و أعاد الذكريات الجميلة قائلاً في قصيدته "**ذكريات و عهود**":

قدْ عُدْتُ للنَّهْر الحَبيب ظَامِئاً أَطْغَى الزَّفير
مُتَسَلِياً بجَمَالِهِ الأَخَاذ أُنْصُت للخَرِير
أَمحْو هُمُومًا جَمة قَدْ لَازَمَتْ قَلْبِي الكَّسِير
يَا نَهْرَ عُدْتَ إِلَيْكَ أَسْبِقُ فَرْحَتي وَقْتَ المسِير
لنَرَى النَّسيمُ الحُلْو دَاعَبَ وَجْهُكَ الصَّافِي النَّظِير
فَرَجَعْتُ أَنتَهِب الخُطَى مُتيَما برجَ الغَدِير
فَوْقَ المروجِ الخِضَّر مَا بيْن الحَشَائشُ وَ الزُّهور
أَحْيَّ عُهُودًا عَذْبة قَضِيما طفلاً غَرِير[2]

فالشاعر ارتكز على الجمال الطبيعي لبلدته "**برج الغدير**" على النهر و الزهور و المروج و الحشائش و على العالم المدينة الصاخب و المعادي لكل ما هو جميل ،و يشير بالإضافة إلى شدوه مع الأطيار و عبثه بالمياه

[1] _عمر بوقرورة ، الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث ، منشورات جامعة باتنة . ن ط 1997 ، ص: 53
[2] _ ،عمر بوقرورة، المرجع السايق، ص: 56

و تجوله في الغابات و استمتاعه بآيات الجمال مدركا بذلك أن الآمال لا يتحقق إلا في موطنه "**برج الغدير**" و مبرزاً مدى الفرق الشاسع و البيَّن بين حياة المدينة ، و الحياة في الريف . فاسترجع الشاعر ذكريات طفولته و أشجان البراءة قبيل الرحيل من موطنه الأصل بعدما أثقلته الهموم و الضوضاء في كنف المدينة .[1]

فالشاعر "**أحمد سحنون**" يعدُّ من أكثر الشعراء ولوعا بالطبيعة و بمختلف مظاهرها إذ تغنى بالجبل والصحراء و البحر..... ، إذ يعد الأخير عنده الأكثر اهتماما فهو رفيقه وأنيسه يلوذ به من شقاء العمر ويسأله الأسرار ويبثه الشكاوي و الهموم و يسقط عليه معاناة الذات و الوطن و لا يكاد يفارقه حتى يحن إليه و يذكره من أعماق السجن في وحشة و حرقة قائله :

أأحَرَمُ مَرأَى البَّحْر وَهُوَ مُجَاوِري وَقَد عِشْتُ دَهَرا مُسْكِنِي بِشَاطِئ البَّحْر
أُطَارِحْهُ شَجْوَى وَأَشْكُوهُ لَوْعِي وأَسْتَلْهِمُ الأَمْواجَ مِن غَامض السِر
وأَسْبحُ فيهِ كَي تَزولَ لوَاعِجِي فَلاَ يَنْطَفِي مَاضِي الجَوَانِحُ من جمْر
ومَتّى أَرَى سِحْرَ الخَمَائِل وَ الرُّبَى و أُعَانِقُ البحرَ الذِّي أَهوَاه
يا بَحْرَ حَسْبكَ أَني لِكلِّ ما فِيكَ معرَم[2]

فقد شكل **البحر** عند الشاعر قصة حب كأنها أسطورة ، وصورة متألقة بمختلف الأبعاد كأنها الرمز الكلي لصبر ، الوقار ، الغناء ، والثورة ، السحر و الجمال ، و الإلهام ..... فهو عنده المثال الذي ينشده الإنسان في وجوده ، ويتقفاه الشاعر في نصوصه مجسدا في ذلك خبرته بالمكان ونظرة عشق و إكبار إلى الطبيعة بما فيها من آيات الإعجاز الإلهي في خلق الكون قائلا:

يَا بَحْرَ يَا رَمْزَ الجَّمَال السَّاحِر وَمَهْبَطَ الوَّحي لِقَلْب شَاعِر
مَطْلَع الأَنْظَارِ وَ المشَاعر وَمُفْزِعَ النَّاسِ لَدَى الهوَاجر
يا صَامِتاً يَتكَلَّمُ وَضاحِكا يَتأَلم
يَا شَادِيًا يتَغَنى وَ شاكِيا يَتظَلم
وَفِي صِفَائِك سِحر كَأنه سِحْر مُبسم
وَ فِي هُدُوئكَ سر مِن الحَقِيقة أَعْظم[3]

[1] _ ينظر: عمر بوقرورة ،المرجع السابق ،ص:57

[2] _ديوان أحمد سحنون ،حبر للنشر و التوزيع ،الجزائر عاصمة الثقافة العربية ،ط2 ، 2007ص:39،40

[3] -،المصدر نفسه، ص: 34 _ 35

يعد الليل أيضا من أبدع مظاهر الطبيعة استهواء للشعراء الجزائريين عامة و الوجدانيين منهم خاصة ، لأن الليل و ما فيه من وحشة و ما في سكونه من أسرار هو الحيز الزمني الذي يستغرق ما في نفوس الشعراء من علة ، و ضياع و هروب و مناجاة و استنكار و حنين و تطلع ، حيث اشتهر أكثر من شاعر بقصيدة أو قصائد جزائرية في هذا الموضوع نذكر بعضا منهم على سبيل المثال الشاعر **"مبارك جلواح"** فلا طالما اتخذ من الليل إطارا زمنيا مفضلا يبث فيه مشاعره المختلفة ، فهو الذي يفضي فيه إلى ذات الشاعر يحاورها و تحاوره و يستذكر في سكونه العميق مواجعه وصبابته ، فقد عدّا الليل عنده بمثابة الخلفية التي يتخذها الفنان بعدا للوحاته فنجده تارة يعبر به عن الغربة القاسية التي عاشها (ونلمس ذلك في قصائده التي كتبها حين تواجده من باريس) وتارة أخرى نراه يعبر عن نظرته إلى الوجود و الحياة و الناس .[1]

فالشاعر نجده يتصور الحياة كلها عبارة عن ليل دامس في محيط صاخب باللُّجج و الناس فيه مجبرون أو مختارون على قطعه سباحة ، و في ذهن كل واحد منهم غاية يود الوصول إليها و أمنية يتمنى تحقيقها و الشاعر **"مبارك جلواح"** لم يلاق في حياته إلا الفشل ، لذا نجده يتصور هذا المحيط الواسع العميق بلا ساحل و مظلم ومتوحش ليس فيه بصيص من نور ، فقد أصيب كغيره من الشعراء الرومانسيين بإخفاق موجع في حبه و فشل شديد في حياته العاطفية ، يدل على ذلك شعره و ما فيه من كثرة الشكوى و التوجع حيث يأخذ من سكون الليل وحشته عاملا قويا لتذكر و الاسترجاع و التداعي .[2] و قد اتخذ من القمر و النجوم ندامي يسهرون معه يبثهم ما يحس به بين جوانحه من ألم كما جاء ذلك في قوله :

بَاتَت تُسَاءِلُ بَعْدَك الأَقْمارا رُوحُ تُذِيبُ بذَوبِهَا الأَشْفارا

وَ يَزِيدُهَا صَمْتُ الكَواكِبُ لَوعَة وَ هَل الكَوكَبُ يمْلِكُ الأَخْبار[3]

وكذلك الشاعر **"محمد العيد آل الخليفة"** في قصيدته تحت عنوان **"ياليل"**نحسبها من القصائد النادرة التي عبر فيها عن إحساس ذاتي متميز حيث كتبها بروح تختلف عما ألفناه منه في سائر قصائده التي يغلب عليه الطابع الإصلاحي ، فهذه القصيدة تعد من الشعر الوجداني النابض الذي يختلط فيه الإحساس بالجمع فقد كتبها الشاعر سنة 1951 تحت إلحاح الظروف الصعبة التي عرفتها القضية الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية و قبيل ثورة التحرير ، فقد هز **"العيد"** و ألمّ نفسه ما رأى عليه المجتمع الجزائري من تطاحن بين أحزابه و تنافر بين قادته

[1] _ محمد صالح ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته و خصائصه الفنية ، ج1 ،وزارة الثقافة ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع 2013ص:71

[2] _ المرجع نفسه، ص: 72

[3] –محمد صالح ناصر ،المرجع نفسه ،ص:72

و تفرق في كلمته و خيال كل ذلك مستعمر يتلاعب بالمواعيد الكاذبة و يكون بالنسبة للشاعر منبها للألم محركا للهموم يبعثها حية مؤخرة و قد نام كل الناس ، فإذا الليل طويل مثل ليل **"امرؤ القيس"** وإذا الدنيا و قد تحولت إلى سجن مظلم لا يستطيع منه سراحا فيقول:

يالَيْلَ طَلَت جَناحَا	مَتَى تُرِيني الصَّبَاحا
أرَى الكَرَى صدَعنِّي	بِوجْهِهِ و أَشاحا
أَمْسى عَلَّي حَرَاما	مَا كَانَ مِنْه مُبَاحا
قَدْ ضِقْتُ بالهَمُّ ذِرَاعا	وَ مَا وَجَدْتُ انْشِرَاحا[1]

والليل يثير في أعماق الشاعر **"محمد العيد"** نزوات تنقدح مثل الزناد من حين إلى أخر إنها وسيلة التفكير و حصيلة في أمور ذاتية شخصية تجعله أبدا معلق النفس بين اليأس و الطمع و مطامح أخرى قومية وطنية، تدفع به إلى التفكير في مصير أمة كاملة ومن ثم فإن الليل ما لبث و أن أصبح في قصيدته رمزاً للمستعمر الفرنسي أيضا و هو الذي لا يختلف عنده في صفاته عن الليل الحقيقي و نلمس ذلك في قوله:

يا لَيلَ أَسرَفْتَ برْدَا	وَ ظُلْمَةً و رِياحا
أُطْفِئُ حُرُوبكَ عَنا	وَ لاَ تَزِدْها لِقَّاحا
وَقَفَ لِنَعْقدَ حِلْفا	مَا بَينَنا وَ اصْطلاَحا
يا لَيْلَ ما فِيكَ نجمُ	يا لَيْلَ ما فِيكَ نجمُ[2]

و يتخذ الشاعر الجزائري من **الجبل** موضوعا و صورة يستمد منها العناصر الفنية الجمالية باعتبار أنه المكان المركزي التاريخي الأول الذي تجدّر في عمق رؤية الشاعر من جيل الثورة ، ف الجبل رمز للثورة التي التحم بها الشاعر و تعمقها تجربة كيانية عميقة ،فأحالها إلى قضية شعرية شاملة و بذلك يتآنسن المكان (الجبل)ليغدوا جزءًا من تاريخ الذات في معاناتها الإنسانية.

وقد تناول شعراء الثورة الجزائريين في العصر الحديث موضوع **الجبل** من زوايا متعددة فهو عند الشاعر **"محمد أبي القاسم خمار"** لتحقيقه و هو البعيد مكانيا عن الجزائر ليساهم في تحرير الوطن و لأن بداية عودة الوطن المفقود المغتصب كانت من الجبل.[3]فيقول الشاعر:

---

[1]_محمد العيد آل الخليفة ، الديوان، دار النشر و التوزيع ، الجزائر ،ن ط ، 2008 ص: 45

[2]-مصدر نفسه ،ص: 46

[3]_محمد الصالح خرفي ،جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر ،موفوم للنشر وحدة الرغاية ، الجزائر ن ط ،2014 ص:24

كَيْفَ السَّبيلَ إلىَ لُقيَاك يا جَبلِي و الدَّرْبُ قَدْ أيْقَظَت أَلغَامُهُ قَدَمي
لَكِنني سَّوْفَ أَمْضِي صَاعِدَا أَيدَا حَتىَّ ولَو فَرَقَ أَشْلاَئِي و بَيْن دَمي
فِي ذُرْوَة مِنْ ذِرَاكَ الخُضْر قَد لمحَت عَينَايَ مُنْطَلَقِ الأَمجَاد و الشِّيم
فِيضُ مِن النُّورِ صَوتُ مِن مَرَابعُنا يُزلْزِلُ الأَرْضَ كَالإعْصَار فِي صَمم[1]

فإن كان الشاعر "**محمد خمار** " لم يحدد لنا اسم الجبل الذي يقصده و جعله مطلقا على كل جبال الجزائر الشامخة الصامدة ، فإن الشاعر "**محمد صالح باوية**"قد حدد المكان و جعل من جبال **الأوراس** (مركز الثورة و انطلاقتها الأولى)هما شعريا ومحوراً للقول :

أَنْتَ أَوْرَاسَ أُنَاملُ كَيَانِي
وَأنَّا الإِعْصَارُ فِي عيدِ الطُّغاةِ
يَا صَرِيرَ التَارِ يَسْرِي فِي حَنَايا ضَرْبَتِي ناراً تُنَاغي
أُمْنِياتِي
أَنَا جَبَارُ وَرَعَد وَانْفِجَار .... أَحْملُ الفَجْر بِأَيْد
فِي حُقُولِي فِي لهَاتِي
وَرِفَاقِي كَمَنُوا فِي ثُنْيةِ الوَّادِي
وَ فِي السُّحُبِ و فِي كُوخِ الرُّعاة[2]

فالشاعر آمن بأرض الجزائر المعطاة في أشد الساعات الحالكة و كانت الثورة أملا جديدا أعاد الحياة لقلبه و جعل هذه الأرض تلد الأبطال و الشهداء مجددا و كانت بداية القصة من الأوراس رمز الشموخ و الكبرياء الجزائري فالأوراس عند الشاعر أضحى رمزاً لكل جبال الجزائر وعنوانا للنصر المرتقب و قصة قلما تتكرر في وطن آخر فهو خاصية جزائرية و قد تواتر الجبل كثيراً في شعر" **محمدصالح باوية** " فكأن الأوراس حياته وطريق الثورة لأنه آمن بالجزائر شعبا و أرضا فإن مات هو وأطفاله سوف يواصلون المسيرة من بعده فيقول:

[1]_محمد أبي القاسم خمار ظلال و أصداء ، دار النشر و التوزيع ،الجزائر ط1،1982 ص:92
[2]_محمد صالح باوية ، أغنيات نضالية ، دار النشر و التوزيع ، الجزائر ،ط 1 1971 ،ص:89

إِنْ أَنَّا غِبْتُ طَويلاً و صَحَا طِفْلِي وَرَائِي خَبّريه إنْ دَعَاني
خَبرِيهِ عَنِيّ فِي الكَهفِ فِي السَّاحَةِ فِي الحَقْلِ فِي كُلِّ مَكَان
هَذِهِ رشَاشَتِي الصُّغرَى لِطِفْلِي إِنهَا قِصَّةَ قَوْمي وَكِياني
جَبلي يَا جَبَلِي هَاهِي أَشْلَائِي أَلغامُ حَوَالِيكَ حَوَان[1]

و نجد الشيء نفسه مع الشاعر **صالح خرفي** الذي حدد المكان الجغرافي للجبل وجعله في جبال الأوراس التي صنعت المجد بالنار حيث أفردها بحيز متميز في شعره عبر العديد من دواوينه ، ومن خصوصية الجبل عنده أنه يعرف الأجنبي الغاصب و الوطني الثائر فتختلف معاملته لكل واحد منهما فالأول يتمنى له الموت و الثاني الحياة فيقول في هذه الأبيات:

مِنْ مَنْبَر الأَوْرَاس حَيُّ الجْمَعَا فَالضَّادُ و الرَّشَاشُ قَدْ نَطَقَا مَعا
فَانْظُر هُنَا تجِد البُطُولَة مَنْبَراً وَ تَرَى البُطُولة فِي الجَزَائِر مِدْفَعا
لَمْ تَرَوْ غِلَتَنا المَنَابِر فَارْتَقَي نا لِلخَطَابة أَطْلَساً مُتَمَنِعا
تِلْكَ الدَّرَاكمُ زَمجرَت بِرصَاصِهَا فَأَرَتْ لنَا مِنهُ الخَّطِيبَ المصْقَعا
قِمَم مُوَطَأة المتونِ لثائِر رَوَى صَنَوْبَرِها دَما فَتَفرَعا [2]

فالجبل بالنسبة للشاعر هو الصديق و الولي و البطل الشامخ الصامد ، القائد الحكيم و الرفيق الأنيس الذي يخاطبه في ثقة و إخلاص ويبثه شكواه و همومه و يناجيه من أعماق قلبه ، فالشاعر "**محمد العيد** " ناجاه و هو تحت الإقامة الجبرية قائلا:

أبَّا المنْقُوشِ هَل تَدْرِي بحَالي فَأنْتَ اليَّوْم جَاري فِي الجِبال
بِبسْكَرة النَّخِيل حَطَطَتُ رِحَالي وَ أَنْتَ بأَرْضِنَا حَامِي الرِّحَال
أَرَاكَ تُطَاوِل الأَحْدَاثَ رَأْسًا وَ تَصْمُدُ فِي شُمُوخٍ وَ اعْتدَال
كَأَنكَ قَائِد لِغُزَاة فَتح تُرَابِطُ مُسْتَعدًا للقِتال
ففِي مَنْقُوشِ صَخْرِكَ رَائِعَات مِنَّ الأَسْرَارِ و الحِكَم الغوَالي[3]

[1] _ محمد صالح باوية، المصدر السابق ،ص:94
[2] _ صالح خرفي ، أطلس المعجزات ، دار النشر و التوزيع الجزائر، ط1 ، 1986، ص:76
[3] _محمد العيد آل الخليفة ، المصر السابق ، ص: 425

و يحشد "**أحمد سحنون**" عدد كبير من الدلالات الإيجابية لرمز **الجبل** إذ يتسع للأبعاد النفسية و الطبيعية الثورية الدينية الفنية الجمالية ، فهو قرين العلو و الضياء و الصبر والحرية ،و الثبات و قدسية الثورة وهي صفات متناقضة تماما للواقع الذي يعيشه المجتمع الجزائري فهو يحاول أن يثبت بها الشعب و يدعوه إلى الصبر و التحمل و التصدي لهذا المستعمر و يدرك بها مدى ضرورة الثورة و قداستها من أجل نيل الحرية و الاستقلال و التحرر من قيود الذل و الهوان وذلك بالخروج إلى الجبال و حمل السلاح و الصمود في وجه ذاك المحتل الغاصب و الوقف في وجهه مثلما هو ذلك الجبل صامدًا وشامخاً.فيقول:

أَيُّهَا الوَاقِفُ المطِلُ عَلَى الدُنيَا برأْس مُتوَج بِالإبَاء
يَتَحَدَى الرَّدَى وَ يَهْزأْ بِالإِعْصارِ وَ العَاصِفَاتِ وَ الأَنوَاء
لَيتَنِي كُنْتُ مِنْكَ يَا طَودَ جزْءَا مُسْتَقَرَا فِي قمَةِ الشَّماء
أَيُهَا الطَّودُ أيُهَا الجَبَلُ الموحِي جَلاَلَ الخلُودِ للشُّعراء
لمْ تَزَلْ مُبْعِثَ الرِّسَالاَتِ و الثَوَرَات مَثْوَى الأَبْطَال وَ الزُعَمَاء[1]

فجمال الكون بالنسبة للشاعر الجزائري متعدد الأوجه، فإذا كان البحر و الليل قد أضحت من الرموز الشعرية عند معظم الشعراء الجزائريين خاصة و الرومانسيين منهم (الوجدانيين)، فإن الصحراء الجزائرية هي أيضا مظهر من مظاهر الجمال الطبيعي الرائع كل شيء فيها جميل و تعبيرا عن موقف حب و إجلال و علاقة حضارية خاصة، غير أنهم تفاوتوا نسبيا في قدرتهم على تصوير أبعادها الشاملة، و صياغة أعماق الذات الشاعرة في عشقها للمكان،[2] فهي جميلة في عيون الشاعر **الاخضر السائحي** إذا تمثل منبع الجمال البديع و السحر و الصفاء فيقول:

لسْتُ أدْرِي أأَنْتِ أرْضُ دَحَاكِ اللهُ أمْ أنْتِ يَا رِمَالَ سَمَاء
الجَّمَالُ البَديعُ و السِّحْرُ و الرَوْعَة و الطُّهْرُ و السَنَا و الصَّفاء
وَ هي فِي اللَّيلِ كَالنَّهَارِ جَمَالُ رَاحَ يَغْرِي صَبَاحِهَا وَ المساء
كَأَنَّ السكُونُ فِيهَا حرَاك كَأَنَّ السَّكَن فِيهَا غِناء
لَتَودُّ النُّفُوس لَوْ تحتَوِيهَا و هِيَ أُفُق لَا تَنْتَهِي و فَضاء
لَيسَ فِيهَا مِثْلُ العِبَاد نِفَاق وَ لَيْسَ فِيهَا مِثلُ العِبَاد رِيَاء[3]

[1]_ديوان أحمد سحنون ، المصدر السابق ص:59-60

[2]_ابراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي الجزائري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر و التوزيع، الجزائر ن ط، 2002ص190

[3]_محمد الاخضر السائحي، ديوان همسات و صرخات دار النشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1981،ص90

فالصحراء على رحابته سماء أرضية تختص الجمال و البهاء في الليل و النهار لا نفاق فيه و لا رياء، و بذلك فهي الملاذ الذي يلجأ إليه الشاعر من عالم البشر المليء بكل المتناقضات، فأصبحت الصحراء عند **الأخضر السائحي** هي الأنيس البديل من عالم البشر المتوحش الخالي من صور الصدق و الأمانة.

فيغدو المكان (الصحراء) منبع الاستقرار و الارتياح و مبعث الروح و الصفاء و النقاء و مزيل لكل الأحزان و الآلام و المواجع التي يعاني منها الشاعر جراء ما يحدث في وطنه من خراب و دمار بفعل ذلك المحتل الغاصب.

و لا يختلف الشاعر مفدي زكريا عن **الأخضر السائحي** في وصفه للصحراء إذ يستعرض جملة من المشاهد الصحراوية، يبرز فيها مشاعر الحب و الشوق إليها بطرق مختلفة حيث اقترب من الواقع في الوصف و أخرج ما في قلبه خلال نصه قائلا:

و فِي حَرَمِ الصَّحْراءِ أهْلِي وَ جِيرَتِي وَ رَبعِي، وخِلاَنِي، و أَكْبَادِي الحَرَى
فَكَمْ كُنْتُ وَ الأَهْلِينَ. نَعْلُو نخِيلَهَا وَ نَقْطِفُ صُبْحًا منْ عَرَاجِينِها تمر
وَ نَفْتَرِشُ الرَّمل الوَتيرُ و بَينَنا حَديثُ نُنَاجي فِي حِكَايَته البدْرَا
و تَحْتَ الخِّيام الحَالماتُ جَميلةُ مُرَنحَة الأَعطَاف فارِغة سَمرا[1]

فالسجن حرك في الشاعر ذكريات الماضي الجميل ليقارن بين مكانه الحالي و مكانه في الماضي و استرجع من خلاله جلساته الليلية مع الأصدقاء و الخلان و الأهل و الجيران ، جاعلا من الصحراء امرأة تبتسم و تتحرك و تشع جمالا و روعة فيأنسن بذلك المكان و يرتفع به من الحيز الجغرافي الجامد إلى الحيز المتحرك الجميل[2] .

وقد يرتفع الشاعر **مفدي زكريا** عن المكان المحدد جغرافيا (الصحراء) إلى المكان الواسع الحاضن للكل إلى الجزائر ليرسم حقيقتها وصورتها و يجعل نصه الشعري كتابا يقرأ عبر الأجيال ، وصورتها ترتسم في ذاكرة كل جزائري محب فتلك هي صورة الصحراء مكان للجمال و السحر الغني بالخير و العلم و الأدب و المقاومة فهي امتداد لبدائل المدينة، و إن لم يستدع **السائحي و مفدي زكريا** الصورة المقابلة لها في الحواضر فقد فعل ذلك **أحمد سحنون** بوعي تاريخي نافذ عندما قدم مديحا للصحراء في مقابل هجاء للمدينة وكشف من خلالها عن

[1]_مفدي زكريا ، ديوان اللهب المقدس ، دار النشر للتوزيع ، ط1 ، 1983 ، ص: 316- 317
[2]-ينظر ،محمد صالح خرفي ،المرجع السابق ،ص:20

محاسن هذه ومساوئ تلك ، وعبر بصراحة عن موقف التبني و الحب لصحراء يعشقها و يدركها كجزأ من ذاته و حضارته وموقف الرفض و البغض للمدينة الزائفة التي لا تمد فيها و لا كرامة[1] فيقول :

الكَونُ أَصَحْراءُ أنْتِ بَلْ أنتِ أَكْبرُ وَ مَرْآكِ فِي عَينِي أَبهَى و أَبهر
بَلْ أَنْتِ دُنيَا لَا تُحدُ عَلىَ المدَى إِذَّا كَانْت الدُنيَا تحَدُ و تحْصر
بَلْ أنْتِ مِنْ هَناءٍ وَغِبْطةٍ وَصَفْو عَلىَ الأَيَام لَا يَتَكدَر
وَ إِنْ سَكَنَ النَّاسَ المدَائِنِ إنني لجَأَتُ إلىَ سَكَنِي بحُضْنِكِ يُؤْثر
وَ كَيفَ أرَى سَكَني المدَائِن بَعْدَمَا رَأَيتُ بهَا مَا يُسْتدَمُ و يُنكر [2]

فالشاعر يبغض المدينة لفوضاها الاجتماعية و انحطاطها الأخلاقي ونزعتها المادية، فلا يجد خلاصا منها سوى بالخروج إلى الصحراء التي تمثل ذاكرة الطفولة و مهبط الوحي أرض الجمال و الهناء ، ومنبع السحر و الإلهام و الأيام الخالدة التي ملئت على الشاعر دنياه و ستبقى كذلك .

و في الشعر الجزائري الحديث نجد قصائد كثيرة تصف مشاهد الطبيعة لاسيما في فصل الربيع و الشتاء و هي من الكثرة بحيث يمكن أن تكوّن ديوانا ضخما ، و يعتبر الشاعر **أحمد سحنون** من أكثر الشعراء الوجدانيين عناية بهذا الموضوع فقد وصف مشاهد الطبيعة ربيعا كما وصفها شتاءاً وحاول أن يعبر من خلال وصفه عن أحاسيسه تجاهها فحالفه التوفيق في بعضها و خالفه في بعضها الآخر.

فالشاعر بقدوم الربيع الذي يحوّل الحياة إلى مهرجان لسحر و الجمال لا يعده مظهرا من المظاهر الخارجية فهو لا يشعر به داخل نفسه لأن الحروب المدمرة التي يشنُّها المستعمر على الشعب شوهت منظر الجمال في ناظريه فلم يعد يرى من خلال دموع الثكالى و اليتامى و الأرامل سوى الدماء و الأشلاء، و من ثم فإنه فقد الإحساس بالجمال و لهذا فإن **سحنون** يطلب من العصافير أن تغني لقلبه لعله ينسى[3] فيقول:

سَئِمْنَا حَيَاةَ الأَسَّى و الأَلّم فَغَنِ لنَنْسَى دَبيبَ الشأَم
لِنَنْسَى أَسَانَا المرِيرُ الفّظِيعُ فَإِنَّكَ فِي مَهْرَجَانِ الرَبِيع[4]

[1] _ ينظر ، إبراهيم رماني ، المرجع السابق ،ص:193

[2] _أحمد سحنون ، الديوان ، المصدر السابق ص: 30-31

[3] _محمد صالح ناصر ،الشعر الجزائري من الرومانسية إلى الثورية ، وزارة الثقافة ، الجزائر ،ن ط ،2013 ،ص:90 .

[4] _ أحمد سحنون ، الديوان ،المصدر السابق ص: 56

ولكن سرعان ما يتدارك الشاعر الموقف فيطلب من العصافير أن تكف عن الغناء حتى ولو كان ذلك لمجرد التخفيف و التسلية ، لأن أذنهُ لا يمكن أن تستسيغ الغناء و هي تسمع الوقت نفسه صراخ الأيتام و دوي القنابل التي تدمر الحياة في كل شيء بل إنها لا تسكت الغناء في حناجر الطيور نفسها ، ليدرك حينها أن مهرجان الربيع لن يبدأ في الجزائر إلا مع أهازيج النصر و الاستقلال .

والربيع بالنسبة ل"**عبد الكريم العقون**"لحظة ميلاد وحياة جديدة يترقبها الكون لكن بعد هجعة طال في العالمين فصلها (الربيع)، وهو يختال في موكب الفن و الشعر و الجمال ،و هي العوالم التي ينسى الشاعر الوجداني فيها همومه و أحزانه فهل خفف هذا الربيع عن هموم الشاعر المناضل و الجزائر تخوض حربا دامية ضد المستعمر يا ترى ؟ فيقول:

يَا حَبِيبا تَشْتَاقُهُ كلُّ نَفْسِ وَعَزَاء لِلْيأْسِ المفْجُوع
عَبْقَرِيًا يُشْفِي الجُرُوحُ وَيُنْسي مِنْ شُجُونٍ كَثِيرَة التَّنوِيع
قَدْ سِرْت فِي نُفُوسِنا مِنه أَحْلَام عِذَاب مِنْ وَحْيِهِ المرْفُوع[1]

فالشاعر حاول أن يتتبع و يرصد لنا أثر الربيع في كل مشهد من مشاهد الطبيعة في الربى و الأشجار و الزهور و الفرشات .....إلخ و يحاول من خلاله أن يصف إحساس الإنسان الشاعر و هو يتلقى هذا الموكب من الجمال في كل حاسة من حواسه في رؤى يبهر العيون سناها ، و كذلك هو موقفه حين وصف إحساسه إزاء الصباح الربيعي ، فقد تابع انطلاقة الحياة في الكائنات واستعرض أمامنا صورا رائعة من الجمال الفطري فيقول:

أَنْتَ سِرَ الوُجُودِ يَا صُبحَ فَانْشُر نُورَكَ المسْتَفِيضَ فِي الفَلَوَات
اسْتَنَارَتْ بِكَ الرِيَاضُ فَأَضْحَت تُغني مَزهوة ثَمِيلاَت
واكتَسَى الغَابُ حُلَة نَسَجَتْهَا أَنمُلُ الصَّبْحُ مِن سَنَا الوَمَضَات
وَ سَرَت فِي الرِيَاض فَرْحَةَ أُنْسِ زَاهِي الرُّؤَى جَمِيلُ السِمات
كُلُّ مَا فِي الوُجُودِ يَهْتَزُ شَوْقًا لحَياك يَا جمَالَ الحَياة[2]

[1]_عمر بقرورة ، المرجع السابق، ص: 90
[2]_ المرجع نفسه ، ص:91

و الجدير بالذكر أن الشاعر **عبد الكريم العقون** له إحساس جميل وإبداع موفق لتصوير مشاهد الطبيعة و عين لاقطة في الوقوف على مباهجها ، ليجسد لنا بذلك رغبته الرومانسية في الهروب من مآسي الحياة و اتخاذ الطبيعة ملجأ آمنا يجد في حضنها الحنان الذي افتقده في دنيا الناس .

و تتميز قصيدة "**أحمد الغوالمي**" بنزعتها الوجدانية التي يدخل فيها الحزن بالسخط و الأنين بالغضب لأن صحة الحزن فيها ليس سببها التألم لمصلحة شخصية بقدر ماهية تألم للواقع المأساوي الذي يعيشه الشعب الجزائري وويلات الاستعمار تحصده حصدا .

ومن ثم فإن "**الغوالمي**" ينظر إلى الربيع من خلال ذاته الحزينة التي فقدت الإحساس بجمال الربيع على الرغم من مظاهر الجمال المتعددة فيه ، فلم تعد الطيور تحركه بأغاريدها لأن الآلام التي تتحرك بين جنبيه قد حولت الحياة أمام ناظريه إلى دم و دموع ، وتتغلب النزعة الوطنية على الشاعر فتتحول نغمة الحزن إلى ثورة فوارة بداخله لأن الحياة قد علمته أن الدموع لا ترد حقا مضّاعا ، وأن الحياة نفسها مبنية على الصراع بين الأقوياء و الضعفاء و على بني قومه الذين طالما أحنّت ظهورهم سياط الاستعمار أن يؤمن بهذه الحقيقة .[1] فيقول:

كَفْكِفْ الدَّمْعَ وَخَفِفْ مِنْ بُكَائِكَ لَيسَتْ الأَدْمعِ تِرْيَاقا لِدَائك
بلْ طُموحُ وَ غلاَب بيْنَ غَاباتِ الذِئاب[2]

فهذه الأبيات تجسد تحولات الفكرية التي أخذت تنقل الشعراء الجزائريين من موقف رومانسي بكائي إلى موقف ثوري غاضب و تتداخل فيها النظرة الدينية الإصلاحية الداعية للرجوع إلى الدين و التمسك بمنهج القرآن و المزج بين الحزن و الثورة لأن المرحلة التي كان يمر بها الشعب الجزائري تقتضي ذلك .

و بالعودة إلى شعرنا الحديث لا نلمح فيه هذا الإحساس المتدفق بالطبيعة في فصل الخريف ، و الشعراء لم يعنوه بالوصف و لم يثرهم ما فيه من مشاهد رغم احتوائه للمعاني الرومانسية ، على غرار فصل الشتاء حين يكون التعبير عن مشاهد الطبيعة عنيفا قويا ولكن مع ذلك نجد قصيدة ل "**عبد القادر السائحي**"التي كتبها في شهر

[1] ـ ينظر :ملاس مختار ، جمالية الأشياء في الشعر الجزائري المعاصر، رسالة دكتوراه ، إشراف د/ محمد العيد تاورتة ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة ،2007-2008،ص:230.

[2] ـ يوسف ناوري ، الشعر الحديث في المغرب العربي ، دار توبقال للنشر ج2 ، ط1 ، دار البيضاء المغرب ،2006،ص:31-32.

أكتوبر أي في فصل الخريف حيث يصف فيها الطبيعة وصفا يجعلنا نتخيل بأن الشاعر في فصل الربيع ،فهو يصف البحر الجميل الغدير الهادئ و رياض المزهرة ويضفي عليها البهجة و الفرحة[1] قائلا :

هَاهُنَا حَولَ الغَدِيرِ الهَادِئ العَذْب يَدُبُّ الحُبُّ فِي أَعْمَاقِ نَفْسِي
هَاهُنَا بَيْنَ صُخُورِ وَ شِعَاب اَترُكُ الدُّنْيَا وَ أَرَائي مِثْل أَمْسي
هَاهُنا لَا همَّ لَا أَحزَان لاَ أكدَارَ لاَ مَا يَدْفعُ النَّفسَ لليأْس[2]

فكان على الشاعر الذي يحدثنا عن نفسه المعذبة الظامئة إلى الحب و الممزقة بالألم الحاد، أن يستغل إطار الخريف ليتماشى مع مشاعره و بذلك يربط بين أبياته بخيط نفسي شعوري واحد، وبذلك رصد لنا الشاعر مظاهر الطبيعة و كأنه في فصل الربيع ليبرز تفاؤله و طموحه للحالة التي يأمل أن تؤول إليها بلدته الجزائر.

و أما الشاعر "**احمد سحنون**" فقد انصب اهتمامه بفصل الشتاء الذي كان الإحساس به أعمق فقد عبر الشعراء الجزائريون عن مشاعرهم إزاءه، ووصفوا أثاره السيئة على الفرد و المجتمع و أبانوا عن مشاعر القلق و التبرم من برده و ثلوجه و تمنوا زواله سريعا، و نظروا إلى سماءه المتلبدة بالسحب بعين غير راضية، ولعل الشاعر" **أحمد سحنون**" الصحراوي المنشأ من أكثر الشعراء الجزائريين إحساسا بفصل الشتاء، فقد كان كثير التعرض له فالشتاء في نظره ضيف ثقيل على الفرد و المجتمع معا، إنه فصل تتجسد فيه مأساة الفقراء فهو يجعلهم أكثر إحساسا بحاجاتهم إلى الغذاء و الكساء و البيت الدافئ .فيقول:

كَانَ خَفِيفًا عَلَى النُفُوسِ ثَقِيلاَ لمْ يجُدْ يَوْمَ بَينَه بِدُموع
كَانَ فِي القَلْبِ غَصّة مَا شَعَرنَا إِذَّا تَوَلَّى بِغَصّيَة فِي الضُّلُوع
كَانَ للبَائِسينَ سَوْطَ عذَاب وَ أَدَاةُ لْلفَتْكِ وَ التَرْوِيع
كَمْ طَرِيحِ عَلَى الثَّرَى مَاتَ جُوعًا وَ يَتِيم عَلَى الطّرِيقِ صَرِيع
مْ يَذُوقُوا طَعْمَ الهنَاء نهارَا لمْ يَذُوقُوا طَعْمَ الهُجوع
زَمْهَرِيرَ يُقْرِي الجُلُودَ مُذيبُ و ثُلُوجُ تَأْتِي بِأَثَرِ صَقِيع[3]

[1]_ ينظر : يوسف ناوري ،المرجع السابق ،ص: 34

[2]_ محمد عبد القادر السائحي ، ديوان همسات و صرخات ، دار النشر و التوزيع الجزائر ط2 1981ص:72.

[3]_أحمد سحنون ، الديوان المصدر السابق ص:37.

فالشاعر الذي يحمل نفسا موجعة حزينة، هو الذي كان يرى في الربيع جلاء النفس لما تشكوه من أضرار،و أنه جالب أنس هذا هو نفسه يشعر مشاعر الانقباض و النفور عندما يحل الشتاء، و هو بموقفه هذا ينزع نزعة رومانسية فطرية، فمن عادة الرومانسي أن يكون شديد الحساسية بالجمال و القبح معا لذا فإن الشاعر لا يغفل عما في فصل الشتاء من جانب جمالي إذ يثيره منظر الثلوج البيضاء و هي تجلل رؤوس الجبال[1]

و هذا ما يؤكد بأن إحساسه بالنفور من الشتاء يعود إلى نزعتين ، نزعة إنسانية هي تلك التي تجعله يتعاطف مع الفقراء و البائسين وهو واحد منهم وذلك حينما يضاعف الشتاء من حاجتهم ، ونزعة جمالية شاعرية ،هي تلك التي تجعله ينقبض لتجهم الطبيعة و كآبتها و كلا النزعتين تتنبأ عن حسن مرهف و شعور إنساني رقيق .

ويلقنا في هذا الصدد الشاعر "**سليمان العناني**"وهو واحد من هؤلاء الشعراء الجزائريين الوجدانيين المغمورين ، الذين يمثلون نقلة نوعية واضحة من التناول التقليدي إلى التناول الرومانسي ،ففي وصفه لفصل الشتاء لم يجعل محور القصيدة تتبعا خارجيا لمناظره البائسة ،وإنما جعل محورها نفسه ،وبذلك استطاع أن يربط بين إحساسه الداخلي و بين المظهر العام للشتاء و لأن الشاعر له إحساس قوي متدفق فهو يشعرنا منذ أول بيت في قصيدته بصدق ما يحس .

ويجسد من خلال صوره الشعرية الحية المتحركة مشاعر الحيرة و القلق و الانقباض و التهجم ، وكأن الشتاء قطعة من وجوده القلق وانعكاس لقلبه الحزين ، ويتجلى له الشتاء موكبا حزينا ،فلم يعد يجد في الطبيعة ما يخفف عنه أحزانه فقد افتقد أحبته حين أفقرت مجالس أنسهم و لهوهم .....و هكذا استحالت البشاشة التي كانت تسليه في فصل الربيع إلى تجهم وراح ينشد لقلبه السلوان على الشاطئ و لكنه استقبله على غير عادته بمظهر هائج مزبد وحياهُ بالحزن و الأسى [2] قائلا:

فَقُلْتُ أَسْأَلُ عَنْ سُكُونٍ بَعْدَهُ أَيْنَ السُّكُونُ لِقَلبِي الحَيرَا
فأَجَابَنِي صَوْتُ خَفِي بَعدما جَالَ التَّأَمُلُ فِي بَنِي الإِنْسَان
الحُبُ يَنْعُشُ وَ الضَّغينَة يَلْتَظي مِنهَا فُؤَادُ المبْغِضُ الوَلهان
الحُبُّ يُؤْنِسُ و الضَّغينَةُ وَحْشَةٌ حُبٌ يجْمَعُ ما يَشَتِتُ جَاني[3]

[1]_ينظر: محمد صالح ناصر، المرجع السابق ص: 107.

[2]_ينظر :يوسف ناوري ،الشعر الحديث في المغرب العربي ،دار توبقار للنشر ،ج1،ط1،الدار البيضاء المغرب ،2006 ،ص:31-32 .

[3]_نوار الدين لا بري ،ديوان سليمان العناني ،دار هومة للنشر و التوزيع ،2003،الجزائر ،ص: 47

فالشاعر في هذه الأبيات يوحي إلى لمحة مقصودة للواقع الأليم الذي كانت تعيشه الجزائر ،و كأن الاستعمار الفرنسي قد حول الجزائر كلها بوجوده إلى الشتاء طويل وهو ما جعل الشاعر يقارن بين أثر الشتاء على الطبيعة و الإنسان ، و أثر الحروب المدمرة التي يشنها المحتلون ضد المواطنين ، ولكن الشاعر ينساق وراء نزعته الرومانسية المتميزة بإنسانيتها فيدعوا إلى الحب الذي يجمع ما يشتته الجاني .

أما الشاعر "**الطاهر بوشوشي** " بما أوتي من حس رومانسي صادق ،لا يتناول وصف الشتاء في مظهره الخارجي بل يتناوله من زاوية جديدة معبرة ،شأنه شأن الرسام المتذوق الذي يحس بموضوعه و ينفعل معه قبل أن يخط أول لمسة في لوحته ، فهو يتلقط من بين مظاهر الشتاء لحظة التحول التي تنقل المرء من حالة إلى أخرى حتى يضفي على رؤيته بعدا نفسيا و يبعث بذلك الحيوية و الحركة في تجربته . فهو اختار لحظة بزوغ الشمس على روابي العاصمة بعد أيام طويلة من السحب الداكنة السوداء ،لا يخفي ما يحس المرء وهو يشعر بأشعة الشمس الربيعية تنساب إلى قلبه فتبعث فيه الدفء و الارتياح و يتخيل للشاعر بأنه يعيش لحظة تحول الطبيعة من موكب جنائزي إلى موكب عرس [1] و يقول في ذلك :

كَأَنَّ رَبيعا آنَ قَبل أَوَانِهِ فَأَيْنَعَ رَوضُ بالزُهُورِ وَنَغَما
وكأَنَّ قُبَيْلَ الأَمْسِ أَجْرَدَ ثاكِلاً تُقِيمُ بهِ هوجُ العَوَاطِفِ مَأتما
و كَانَتْ سَواقيهِ دُمُوعا هَوَامِعًا وكَانَتْ نَوادِيهِ الهواتِفُ نَوما
فَمَا أَنْ أَنَاطَتْ هَذِهِ الشَّمْسُ بَرْقَعًا إِذًا مَوكِبُ البُشْرَى يَهُبُ مُهَيمَنَا[2]

فرغم هذه التباشير التي أيقظت الدنيا كلها ،وبعثت في شرايينها الحياة نابضة ،لم تستطيع أن توقظ قلب **بوشوشي** الحزين ، ولا أن تزيح السحب المتلبدة في أعماقه ،من أجل ذلك كله راح يخاطب قلبه الذي هو مركز التجربة على عادة الرومانسيين ،علّه ينسى فيقول :

[1]_ينظر ،محمد صالح ناصر ،المرجع السابق ،ص:100 .
[2]_مقدمة الطاهر بوشوشي ،المرجع السابق ،ص:101

وَكَمْ غِبطَة للقَلْبِ فِي الصَّحْوِ لَوْ دَرَى وَلَكِنهُ لما يزَل مُتَبَرِما
فَيَا قَلْبِي المغرُور أَقْصِر فَهَذِه بَوَاكِيرُ أَفْرَاح تُوافِيكَ انْعُما
لَعلَ غداً تَنْسى مَآسِيكَ التي شَرِبتَ بهَا كَأَسَ الصَّبَابَة عَلْقَمَا
لعَلَ غَداً تَنْسَى التِي قَدْ تأَلمتْ بحُبِي فَما زَادَتكَ إِلاَّ تَألما[1]

ويكاد ينفرد "**عبد الله شريبط**"من بين الشعراء الجزائريين بوصف فصل الصيف و أثره العميق في نفسه فإذا عدنا للشعراء الوجدانيين على أن ينظروا إلى هذا الفصل نظرةً ملؤها الفرح و الابتهاج فذلك لما فيها من رحلات وأسفار ووصف لياليه المرحة وسماءه الصافية المرصعة بالنجوم كما فعل "**السائحي الكبير**"فالشاعر هنا يحس بالصيف لهيبا ينساب بين جنبيه لفحاً يمتص ما بقي بقلبه من دفقت الشباب ، وهجيراً يجفف الأنسام العليلة في حلقه الظامئ أما ليالي الصيف الموحية بالبهجة عادة فهي في نظره أرق في جفون الليالي أنفاسها كالجبال فمنظر الصيف عنده نذير بالشيخوخة و الرحيل مثير للجزع و الإشفاق[2] فيقول :

هُوَ ذَا الصَّيفُ يَا فُؤَادِي يُطِلُّ اللَفحُ مِنْ وَجْهِهِ اللَهِيثُ الجَهِيد
تَتَدَلَّى الأَيامُ مِنْ رَأْسَهُ الأَشْيَب شَعْثا كَمَيتات الجَرِيد
ويُغْنِيهِ هَذِه اللَّهْفَةُ البَيضَاء ذَابتْ كَسَائِلِ منْ حدِيد[3]

فشعور **شريبط** إزاء الصيف شعور مرير بلغ من اليأس و القنوط حدا بعيداً يحس به و كأنه يختنق ، وأنه يحمل بين جنبيه قلبا يئن تحت هموم الدنيا كلها، و بلغ حداً من اليأس جعله يتمنى الموت في كل لحظة ، فتتعالى منه زفرة يائسة ولم يعد يرى خلاصا من همومه إلا بالموت و كأن الصيف قد أوحى إليه بهذه النهاية المريرة حين راح يخاطبه قائلا:

أَيْنَ سَبِيلُ الحَياةِ آهٍ مَنْ ذَا أُنَادِي ؟ مَا التَفَاتِي ؟ لمنْ أَمُدُ يَدَيا
ضِقْتُ ،أَمْ ضَاقَتْ الشُّجُونُ بِقَلْبِي لَسْتُ أَدْرِي إِلاَ دُجَايَ الشَّقِيَا
أَيُّهَا الصَّيْفُ،أَيُّهَا اللَّهْفُ الظَّامِئُ أَما آنَ أَنْ نَذُوبَ سَوِيا[4]

[1] _ طاهر بوشوشي ،المرجع السابق ،ص:101
[2] - محمد صالح ناصر ، الشعر الجزائري من الرومانسية إلى الثورية ،المرجع السابق ،ص:102-103
[3] _ شريبط أحمد شريبط ،ديوان الرماد ، المصدر السابق ،ص:107
[4] _ المصدر نفسه ،ص: 110

و الحقيقة التي لا ينبغي أن تغيب عن الأذهان ، و التي يجب أن ننظر على ضوئها للشعر الجزائري ، هي أن الشعر كان دائما و أبدًا يقف إلى جانب الشعب و يواسيه في كل ما يلم به ، و ما أكثر ما أصاب الجزائر من ويلات على يد أعدائه و مستعمريه ، وما أكثر ما نكبه ، حتى الطبيعة نفسها ، وما أشد قسوتها حينما تثور وتصب غضبها على الناس ،حيث غضبت يوما على مدينة "**الأصنام**"فدمرتها بزلزالها الرهيب سنة 1984 كما غضبت قبلها على **خراطة** فوقف الشعر ليسجل هذين الحدتين الرهيبين وقفة يواسي و يشد فيها من أزر هذا الشعب .

فالشاعر "محمد العيد" في قصيدته "زلزال الأصنام" يصرخ من أعماقه متألما من هذه النكبة التي دمرت مدينة بجمعها ، بل أمست الجزائر من أقصاها تعيش في حداد ورهبة ،مثل: أُم فجعت بفقدان ولدها ، فأضحت هذه البلدة حطاما فوق حطام ، وركامًا فلا ترى إلا الديار وقد تكدّس بعضها فوق بعض ، و الجبال قد هوت مطأطئة الرؤوس فحطمت صخورها ورمالها ، و كأنها سفن في بحر هائج مضطربة تميل يمينا و شمالا ،و حتى أعاصير الرياح قد شنت حربها على الأكباد ،فسددت إليها نبالها ، و الكواكب يغشاها سواد قاتم مثلها مثل هؤلاء الثكلى [1] فيقول في هذه النكبة :

فَتَرَى الدِّيَارَ عَلَى الدِّيارِ أَكَبَّهَا وَتَرَى الجِبَالَ عَلَى الجِبَالِ أَمَالها
خَرَتْ مُطَأْطَئَةَ الرُّؤُوسِ فَتبَدَدَت حَوْلَ السُفُوحِ صُخُورِهَا وَرِمَالها
فَكَأَنَهَا سُفُن ببَحْر هائِجًا صَخْبُ تَمِيلُ يمينُهَا وَشِمَالها
ولَرُبَ دَارٍ هَزَّها مَنْ رَأْسهَا وَ أَدَارَهَا مِثْلَ الرَّحَى وَ أَجَالها
وَتَرَى أَعاصيرُ الرِّيَاح آثارَها حربًا تُسَدِدُ للكُبُودِ نِبَالهَا
وَتَرَى الكَواكِبُ فِي سَوادِ قَاتِم مِثْلَ الثَكَلَى اِسْتَشْعَرَتْ أَسمَالهَا[2]

[1] _ينظر: عبد الله الركيبي ، دراسات في الشعر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي ،1432-2011 ،القبة الجزائر، ص:84

[2] _محمد العيد آل الخليفة ،الديوان ،ص:69

وهكذا يتبين لنا من خلال متابعتنا موقف الشعراء الوجدانيين وهم يصفون مناظر الطبيعة بمختلف بيئتها وفي شتى أزمنتها وفصولها بأنهم حاولوا أن يعبروا من خلال وصفهم ذلك عن إحساسهم اتجاه الطبيعة و الحياة و الناس ، و أن يقدموا من خلال واقع يعيشونه فكانت هذه النظرات التي يغلب عليها الحزن و التشاؤم و هذه التأوُهات التي تصعد من قلوب مزقها الألم واستبد بها القلق ، فكانت قلّما تنظر إلى مناظر الطبيعة من جانبها الجمالي ، وقد تفاوت الشعر في هذا الاتجاه تعبيراً و تصويراً.

الفصل الثاني

الطبيعة في شعر الربيع بوشامة

أولا/نبذة عن حياة الشاعر الربيع بوشامة:

ولد الربيع بوشامة ببلدة قنزات ببني يعلى دائرة بوقاعة ولاية سطيف في شهر ديسمبر عام 1916 وكان المولود الثاني من ستة إخوة ،واشتهر في طفولته بالهدوء و الوداعة ، و في أثناء تعلمه القرآن كان يتردد على المدرسة الفرنسية منذ سن السابعة ، و في سن الثاني عشر حفظ القرآن على يد الشيخ الصديق بن عبد السلام ، و أقام له والده الحفلة التقليدية احتفاء بالمناسبة . أكمل دراسته بالمدرسة الفرنسية إلى السنة الأخيرة من المرحلة الابتدائية،تفرغ بعد ذلك لتحصيل العلم عند شيوخ بني يعلى و علمائها **وتتلمذ** على يد الشيخ **سعيد الصالحي** عدة سنوات كما أخد النحو والتجويد و القراءات عن **الشيخ العياشي مزغيش**.

كما أخد عن كل من **الشيخ علي الزموري و الشيخ السعيد بن عمر** و عن غير هؤلاء ، لقد أظهر حرصا كبيرا من أجل التحصيل و عمد بكل ما يملك من طاقة و جهد إلى الاعتماد على النفس و التكوين الذاتي الذاتي وكون من أجل ذلك مكتبة تراثية غنية ومتنوعة منذ مرحلة شبابه الأولى.[1]

ولقد كان على اتصال مباشر بالحركة الإصلاحية ، عن طريق شيوخه :السعيد صالحي ،السعيد بن عمر و كذلك **الشيخ الفضيل الورتيلاني** الذي كان كثير التردد على قنزات ذلك الوقت. ومنذ سنة 1937 أصبح عضوا عاملا في حركة جمعية العلماء المسلمين و أسس مع نخبة من شباب البلدة ناديا للشباب في قنزات ،كما كان يساعد الشيخ الصالحي في حلقة التدريس التي كانت تعقد في مجلس الجمعة الواقع في وسط البلدة .

وفي عام 1938 أوفد إلى باريس رفقة الشيخ السعيد الصالحي لمساعدة **الشيخ الورثلاني** في نشاطه الإصلاحي بفرنسا، غير أن إقامته لم تدم طويلا بهاته البلاد، فقد عاد إلى الجزائر بسبب استدعائه من طرف الإدارة الاستعمارية لإجراء الفحص الطبي للخدمة العسكرية، أو ربما أيضا بسبب المضايقات و العراقيل التي كانت حكومة فرنسا تضعها في مواجهة النشاط الإصلاحي بفرنسا ما دفع بجمعية العلماء أي تقليص نشاطها في هذه البلد إلى أضيق الحدود، أعفي من الخدمة العسكرية بسب ضعف بصره، و قرر إثر ذلك الانتقال إلى مدينة قسنطينة للأخذ عن الشيخ عبد الحميد ابن باديس.[2]

[1] _جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، دار هومة للطباعة النشر و التوزيع، الجزائر2010، ص05،06

[2] -المصدر نفسه ،ص:06.

كانت إقامته في قسنطينة التي لم تزد عن عشرة شهور فترة خصبة في حياة الشاعر، لقد أثرت فيه شخصية ابن باديس و تعاليمه و المبادئ التي ينادي بها تأثير دائما و مستمرا حتى أخر لحظة من حياته، لقد كان يرى فيه تجسيدا حيا للإخلاص و التفاني في خدمة الوطن و نموذج عاليا للقيم العربية الإسلامية من اجل معانيها و انصح صورها.[1]

في نحو سنة 1937-1938 م ،تذكر مجلة "**آمال**" في سنة 1939 م أوفدته جمعية العلماء المسلمين إلى فرنسا لتعزيز الحركة الإصلاحية في باريس، و ذلك خلافا لشيخ الفضيل الورثلاني الذي كان قد سافر إلى القاهرة في ذلك العام و كان بالفعل الربيع بوشامة دعامة للحركة الإصلاح في الخارج، و ممثلا حيا للجمعية العلماء، كان نشاطه يضاهي نشاط الشيخ الورثلاني، و كان ومركزه و ناديه ب"**سان دوني**"بباريس، و هو مقر التجمعات و المحاضرات التوجيهية.

و قد لخص الشاعر نشاطه هناك، في إحدى قصائده [2] التي يقول فيها :

سَلْ حِمَّى بَارِيس أَرْضَا وَ سَمَا عَنْ هَدَاناَ وَ مَسَاعِينَا الوَضَاء
وَ سْئَل الأَحْرَار مِنْ أَهْل الحُجَة هَلْ وَفَينَا وَ ظَفَرنَا بِالرِضَاء
وَ أَقَمْنَا مِثْلمَا كُناَ علىَ شرْعَة اللهِ و طُهْرُ الأَنْقِياء
كلُتهُم يُشْهَد بِالحق لَناَ إِنَنَا أَهْلُ المِعالي و الوَفاء
هشا الوثاب تحقتيق المنى و فِدَا الأَوْطان مِن قَيد العَنَاء[3]

و بعد أن عاد إلى الوطن اشتغل بالتدريس في المدارس الحرة، فدرس في مدرسة قنزات و في ناديها ثم في مدرسة خراطة، وفيها شاهد مجزرة الثامن ماي 1945م التي وقعت إثر المظاهرات التي عبر من خلالها الشعب الجزائري عن فرحته بنهاية الحرب و زوال حياة الذل و الخوف و الإهانة...

لكن العدوان الفرنسي قابل جموع المتظاهرين بأنياب مكشرة و آسيان مسلولة و كان شاعرنا المعلم واحدا من المتظاهرين الرائدين الصارخين في وجه المستعمر ، و كانت نتيجة ذلك أن زجوه في السجن وكان ينفذ فيه الحكم بالإعدام، و ذلك بسبب شهادة بعض الفرنسيين قيل أنه يدعى" ساكص" قائلا: " **إن هذا الرجل يصرخ بملء ما فيه: الجهاد في سبيل الله، من مات في هذا اليوم فهو شهيد.**"فكانت هذه السنة أو بالأحرى هذا الشهر

[1] _جمال قنان، المصدر السابق،ص: 07

[2] _الصالح بوشامة، الربيع بوشامة حياته و شعره ، منشورات نوميديا للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2013ص31

[3] _ديوان الربيع بوشامة،المصدر السابق ص87

مشؤوما على الشعب الجزائري عامة، و على الشيخ الربيع خاصة حيث أتى عليه فجره إلى السجن ....و قد سجل الشاعر هاذين الحادثتين في ذكرى فواجع الثامن ماي،[1] التي يقول فيها:

لِي فيكَ يا مَايَ النَوَائِبُ و الرَّدَى ذِكْرى سَتَبقَى طِيلَة الأَعوَام
فُقْدَان خَير أَبٍّ وَ أَكْرَمُ صُحْبَة وَ جَحِيمُ سِجْن حَنىَ بِالإِعْدَام
فِي ذِمَة التَّارِيخ تِسعَة أَشهر قَضَيتُهَا فِي غَزْوَة وَ صدَام
وَ شَرِبتُ بِهَا كَأسَ كُلَّ شَدِيدَة صُنِعَت "خِصِيصًا"للفَتَى المقْدَام
قَابَلْتُهَا بِشَجَاعَة جَبارَة وَتجَلُّدُ يسطُو عَلى الآلاَم
وَ خَرجْتُ مِنْهَا حُرَّ النَفْسُ مُحْمَد أَعْتَز جُهْد الظَّافِر الغنَام[2]

ورغم حالة المرض و الإعياء التي خرج منها من السجن انتقل إلى العاصمة وباشر عمله كمعلم في مدرسة "الهداية" تم عين من طرف جمعية العلماء المسلمين معلما ومديراً بمدرسة "الثبات"، وقد أثمرت حركة التعليم بهده المدرسة وتوسعت في نحو (1948-1949)،وفي شهر أوت من عام 1952م أرسل الشيخ الربيع إلى باريس لينهض بالنشاط الإصلاحي ، ويدفعه قدما للأمام ، ويبدو أنه لم يجد الدعم الكافي لمواصلة النشاط الإصلاحي في باريس وبعد أقل من سنة عاد إلى أرض الوطن ليباشر مهامه السابق كمدير عادي من الدرجة الثانية لمدرسة "الثبات" بالحراش ، وبعد ذلك انتقل الشاعر إلى قلعة بني عباس في نحو (1956-1957م) و في هذه الفترة تعرف على القائد عميروش و توثقت الصلة بينهما، و بواسطة هذه العلاقة دخل عميروش في صف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

قيل إن هذه الفترة لم تستغرق زمن طويلا، و بعد عودته استقر في إدارة مدرسة" **الثبات**" بالحراش في الجزائر العاصمة اشتغل بالوعظ و الإرشاد للشباب والكهول، و بالتوعية والتوجيه في صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية، و من هذه المدرسة اتصل بثورة التحرير الكبرى.

في أواخر سنة 1958م ألقي عليه القبض ،وبقي في مراكز الاستنطاق و التعذيب ،ويروي لنا أخوه :بأنه عذب عذابا لم ير مثله قط ،فبعد الضرب المبرح والطويل ،التجأ الجلادون إلى لون آخر من التعذيب ،حيث أوقفوه مقيدا و أطلقوا عليه الكلاب فأكلت لحمه وسال دمه وشوهت صورته ،ولم يبق له أمل في استمرار حياته

[1] _الصالح بوشامة، الربيع بوشامة حياته و شعره، المرجع السابق ص32
[2] _ ديوان الربيع بوشامة،ص69

...يقول شقيقه"**إنه اعترف في النهاية بعمله في صفوف جيش التحرير الوطني**"كما نسب إلى نفسه كل ما أتهم به رفاقه السجناء ،قصد التخفيف عنهم أو إطلاق صارحهم،ويقول أيضا" **إنه لما أوتي به إلى بيته ليثبت بعض اعترافاته وتبرئ رفاقه ، أنه أصبح لا يعرف ،ولا يكاد الرائي يميز تقاسيم وجهه وملامح خلقته** "ويذكر "**صالح خرفي**""إنه في 13 ماي عام 1959 م أعدم رمياً بالرصاص مع رفيقه عبد الكريم العقون". [1]

[1] _صالح بوشامة –الربيع بوشامة حياته و شعره–المرجع السابق ص:33 .

ثانيا/الاتجاه الوجداني عند الشاعر الربيع بوشامة:

إن من السمات البارزة التي تميز الرومانسية عن غيرها من المذاهب الأدبية الأخرى كونها تعبر عن عاطفة الإنسان قبل كل شيء ،ولما كان الانفعال العاطفي في أعمق ما فيه من حرارة لا يستطيع الخضوع لقانون خارجي دون أن يخون ذاته ، وجب أن يكون الأدب المعبر عنه حرًا كذلك ،هذا الشعور بالحرية هو الذي جعل الأدباء و الشعراء الرومانسيين يدعون باستمرار إلى التحرر من القوالب الجاهزة ،و القواعد الصارمة ،و هذا الموقف من الإبداع الفني هو الذي جعل الرومانسية تثور على الكلاسيكية التي تفرض القوالب و الأطر في العمل الأدبي .

يمكننا القول بأن الاتجاه الوجداني الرومانسي في الشعر قد نشأ تحت ظروف سياسية و اجتماعية واقتصادية و ثقافية معينة ،وإن نشأته هذه هي رد فعل تلقائي من قبل الشعراء للتعبير عن مشاعرهم إزاء هذه الظروف ،غير أن هذه المؤثرات الخارجية لم تكن وحدها لتوجه الشعراء الجزائريين إلى هذا الاتجاه فقد كان إلى جانبها تطور في مفهوم الشعر ووظيفته و علاقته بالفرد و المجتمع ،حيث أصبح مفهوم عندهم هو التعبير عن أحاسيسهم و مشاعرهم إزاء المجتمع و الظروف المحيطة به .[1]

ولهذا فقد نجد في هذا الشعر العديد من القصائد لأغراض الغزل و الحديث عن الحب ، وكذلك فن الوصف كوصف الطبيعة ،إذ اتخذ هذا الغرض الشعري أشكالا مختلفة ،فمن وصف فصول السنة إلى وصف مظاهرها بحوراً وصحاري وجبالا و أثارا ،واشتملت قصائد الشعراء في ذلك بسمة الرومانسية التي تتحول فيها الطبيعة إلى هيئة يناجيها الشاعر كما هو في شعر الرومانسيين عموما.[2]

لذلك فقد حقق الوجدانيون تطورا بعنصر التصوير في العمل الشعري ،و ذلك يعود إلى رؤيتهم الشعرية التي أصبحت تولي الذات عناية خاصة ،وتجعلها الأساس في التجربة الشعرية ، وأصبحت العاطفة طاقة تشحن بها الأداة الفنية لغة و تصويراً وتوحدت الصور الشعرية بالانفعالات النفسية عند الشاعر بالصدق و العفوية وطبعت العمل الشعري ببصمات الشاعر و تدفقت في شرايين دمائه و نبضه .

ولم يعد الشاعر كما كان في السابق يقف عند موصفاته موقفا منفصلا كالمصور الفوتوغرافي الذي يقتصر على نقل الواقع بصدق و أمانة وإنما أصبحت الصورة جزءا لا يتجزأ من شخصية الشاعر و شعوره وتفكيره ؛ولعل من أبرز الخصائص التي تميزت بها الصورة الشعرية في هذا الاتجاه في أنها أصبحت وسيلة للتعبير عن إحساس الشاعر تجاه الشيء الموصوف ، و لم تعد تلك الصور المتلاحقة المكدسة التي تتوالى دون أن يكون لها ارتباط

[1] _محمد صالح ناصر ،الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، المرجع السابق،ص:124-125 .

[2] _الطاهر يحياوي ،تشكلات الشعر الجزائري الحديث ، وزارة الثقافة للنشر و التوزيع، ط1، 2013،الجزائر ،ص:22 .

بإحساس الشاعر أو شعوره أو فكرته في عملية زخرفية تطغى عليها النظرة الحسية ،وإنما أصبحت الصور وسيلة للتعبير عن حالة وجدانية نفسية ،وهذا ما نجده في شعر وصف الطبيعة الساكنة و المتحركة ،التي يلجأ إليها قلب الشاعر ليصحوا من أحزانه ويشارك أفراحها وانطلاقاتها ..... [1]

فالشعراء الجزائريين خاصة الوجدانيين منهم قد تناولوا وصف الطبيعة بكل جوانبها الصامت منها و المتحرك ليجسدوا بذلك مدى جمالية طبيعة بلادهم بالإضافة إلى تصوير حجم المعاناة و المأساة التي يعانيها الشعب جراء ويلات الاستعمار ،والتي لم تسلم منها حتى الأرض أو الطبيعة بصفة عامة .[2]

"**فالطبيعة الصامتة** المقصودة بها هو وصف الجبال و الأودية بالإضافة إلى وصف السماء بغيومها ونجومها ووصف الأرض بصخورها ورمالها وأشجارها وواحاتها ورياضها ووصف الجو وتقلباته (الفصول الأربعة) ،فجعلوا كل ما هو ساكن لا حركة فيه و لا حياة[3] .

أما **الطبيعة الحية المتحركة** فقد انحصرت في وصف الكائنات الحية التي تعج بالحركة و النشاط ،[4] فاتجه شعرائنا إلى وصف مظاهر طبيعتهم وما تثيرهم من سحرها الأخاذ ، وروعتها الخلابة ،فجسدوا ذلك في لوحات فنية مبدعة تكشف مدى إعجابهم بالطبيعة التي تحتضنهم .

و لعل أبرز العوامل التي ساعدت على بروز الشيخ "**الربيع بوشامة**" والذي صنف مصاف الشعراء الوجدانيين الذين عاشوا تحت ظروف صعبة إزاء الثورة ،و اصطبغ شعرهم بها ووسمته بطابعها المميز هي موهبته الشعرية ، هذه الصفة الفطرية كانت حاضرة عنده في كل وقت ماثلة أمامه في كل حين ،فكان لفرط إحساسه ورقة شعوره لا تفوق فرصة أو مناسبة إلا و حرك قلمه ليتدفق منه شعر لا ينصب.[5]

لقد كان عصر الشاعر عصر الآلام و الأحزان ،وللحروب و الدماء ،عصر الجهل و الفقر و المرض ،فيه بطشت يد الاستعمار بالمواطنين و سلبت منهم الحياة فكان جدير بكل مواطن فطن أن يهز شعبه فيه الروح التي ترفض هذا الوضع التعس و المهيمن ،و لعل شاعرنا واحدا من أولئك الشعراء الذين جندوا أقلامهم لخدمة الوطن المسلوب ،و لطلب الحق المشروع. [6]

---

[1] –ينظر :محمد صالح ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،اتجاهاته وخصائصه الفنية ،ص:499 ،498.

[2] _الطاهر يحياوي ، ،المرجع السابق ،ص:22

3- ينظر ،عبد العزيز نقبيل ،شعراء المغرب الأوسط النازحون إلى القيروان ،رسالة ماجيستير،ص:83

[4] _المرجع نفسه، ص:83

[5] _صالح بوشامة ،الربيع بوشامة حياته وشعره ،المرجع السابق ،ص:34 .

[6] _ صالح بوشامة ،المرجع السابق،ص:39 .

فاهتمام الشاعر بقضايا وطنه ،وارتباطه الوثيق بشعبه و قوميته وإحساسه لما يضطرب من حوله،جعله يسجل كل حادثة أو مناسبة تمر به أو تقع تحت بصره ، وشعر "**الربيع بوشامة** " كان يدور معظمه في محور واحد هو المقاومة و التحريض على القتال و الدفاع على الأوطان ،على غرار شعر الطبيعة كان نادرا بالنسبة لقصائد أخرى فإنه في بعض القصائد يفاجئنا بطبيعة لم نعدها فيه ، و بأسلوب لم نألفه منه ،فهو أقرب إلى التنهد و الأنين منه إلى الكلام لما فيه من نبرات عميقة الإحساس ،قوية الشعور ،حيث استطاعت أن تخلق لنا جواً من الحزن و الانفعال لما أصابها و لما تشكوا منه ، و لربما كان للطريقة الرومانتكية التي تستعذب الألم الوجداني يجد في تقوية هذه النزعة العاطفية عند الشاعر.[1]

"ولعل ما كان ينطوي على شاعرنا ذلك الحس المرهف العميق الذي يرجع إلى هروبه من الواقع ومن ضغوطات المستعر و الدمار و الظلم ،حتى نجده يصف مظاهر الأشياء وصفاً حسيا تتناول الخصائص الثابتة فالصور التي تصور مناظر الطبيعة مثلا هي المجال الذي يفجر الإحساس بالجمال ،ويعمق الشعور بها نجدها تكرر عند الشاعر و تتابع بكيفية رتيبة"[2] فهو حاول رصد مناظر الطبيعة بمختلف صورها ليبرز مدى حبه و إجلاله لوطنه الجزائر ، و الطبيعة في نظره مثل ما هي في نظر كبار الشعراء ،فهي ذات حياة وروح ،يمكن مخاطبتها و الاستئناس بها ، و الشكوى إليها من مظالم الناس وجفاء طباعهم .[3]

[1] _ صالح بوشامة،المرجع السابق ،ص:72 .

[2] _ينظر ،محمد صالح ناصر ،الشعر الجزائري الحديث ،المرجع السابق ص:445-446 .

[3] -صالح بوشامة ،المرجع نفسه،ص:68

ثالثا:الطبيعة في شعر الربيع بوشامة:

كرس الشاعر الجزائري روحه لنصرة وطنه الذي يئن تحت الحصار المفروض عليه من طرف المحتل الغاشم ،وسعى إلى تلخيصه من قيود الاستعمار و هيمنته وهكذا كان الشاعر الجزائري مخلصا للقضية الوطنية على طول الفترة ولم يتعثر يوما أو يتخلى ، بل ظلت الهدف المنشود و الحلم المرتسم في نفوس الشعراء و الأدباء الذين جردوا أقلامهم للوطن و الشعب ، ومطامحه التي لا تعرف لغير الاستقلال و التحرر المطلق هدفا.

و المتفحص لديوان "**الربيع بوشامة**" يجد الجزائر المتعبة قد نسمت نسمات منعشة تعبق منها رائحة الوطنية إذ اتخذ من قلمه مترجما ومنفسا لكربه و همومه ، معبرا عن سخطه وغضبه لما اقترفه الاستعمار من نهب و تخريب لوجود الأمة الجزائرية وشاعرنا له وقفات تشد الانتباه وتهز الوجدان ، وكان شامخا أمام أعداءه و أعداء وطنه .[1] إذ يعد شعره ذا بعد وطني ،ويدور في محاور مختلفة منها التغني بجمال الطبيعة، وتمجيد الثورة.... ، وهذا ما يؤكد لنا أن الشاعر أحب الجزائر فعشق لأجلها الجمال ، وتمثلها عظيمة في ثورتها على الظلم وسحق قلاع الطغاة .

وكتب الشاعر قصائد عن الشعور الوطني و القومي وكتب من وحي العاطفة والطبيعة بين الجمال والقسوة وكل هذا راجع لدافع الغيرة و حب الوطن ،إذ يروح في سبحات روحية شاعرية ثم يغد ليترجم شاعريته في غربته وحنينه في امتزاجه بالطبيعة في إحساسه المرهف و شوقه إلى الجمال و الصفاء. [2]

وتناول الشاعر وصف الطبيعة في ديوانه بنوعيها صامتة ومتحركة :

أ/الطبيعة الساكنة الميتة:

التي لا حركة فيها ولا حياة، فجعل فيها الشاعر "**الربيع بوشامة**" يصف الساحل الممتد فالنسبة إليه مصدر الطهر و النقاء ،فيه وجد عزاءه حين غاب الوفاء ، وغابت الرحمة و الصفاء بين الناس فراح يتحدث إليه يصف جماله وسخاءه ، و يشيد بنبل و نقاء سريرته[3] ، فيخاطبه قائلا:

---

[1]- جحيش سهيلة ،شعر شهداء الثورة (الربيع بوشامة أنموذجا) ،مذكرة ماجستير في الأدب الجزائري،د/أحمد جاب الله ،جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة-2008/2007 ص:35.

[2]-المرجع نفسه ،ص:18

[3]_ينظر ،صالح بوشامة ،المرجع السابق ،ص:68 .

يَا سَاحِلَ المَجْدِ هَيَا اسْمَع لِإنْشَادِي فِي حُسْنِكَ المُجْتَلَى بُورِكْتَ مِنْ وَادِي
اللهُ..."للسَاحِلِ"المِيمُون مَا جُمِعَت أَحْضَانِكَ مِنْ كَرِيم خَالد عَادِي
فِيكَ الحَيَاةُ ،وفِيكَ الأُنْسُ مجْتَمِعًا وَمِنْكَ كلُّ المُنَّى مَوْفُورَةَ الزَاد
إِنْ عَزَّ مَاءُ وَ أَضْحَى النَّاسُ فِي ظَمَا فَقَطْرَةُ مِنْكَ تُشْفِي غِلَةَ الصادِي
أَوْ غَاضَ مِن بَينِهُمْ صَفْو وَمَرْحَمَة فَأَنْتَ رُوحُ الصَفَا وَ الودّ فِي النادِي[1]

ولو رجعنا إلى الأبيات التي تلي المقطوعة السابقة ،وجدنا الشاعر يعود إلى الوصف الخارجي للطبيعة ، يتغنى بجمال الساحل ،و بسهوله الخصبة ،و الحقول و البساتين المترامية على أطرافه ،يصف ثمارها و غدرانها و الجبال المحيطة بها ،فيقول:

جَمعتَ كلَ بدِيعٍ مُبهجٍ خَصبٍ من الطّبيعة في سهلٍ و أطواد
طِفْ بالبسَاتينِ وانْظر في محَاسِنها من سَاقياتِ و أشّجارِ و أوْراد
و الحظُ مَزارِعُ قَمْحٍ في مَواسمها ما بينَ بذّرٍ ،وإنّباتٍ و أَحّصاد
وأَذْهبُ خِلال حُقولِ الكَرمِ حالية قُطُوفُها كَالثُريَا فوق أّرفاد
يُزينُها مسْرح الزَيتُون مرتديا أَثْوابه الخُضر في غُور و أَنْجّاد
وأَعْرِجِ عَلى الغَابِ من صخْر إلى شجَر،إلى شناخيب أرْستْ مثلَ أوّتاد[2]

لكن الأبيات الأخيرة من هذه القصيدة ،تكشف عن نية الشاعر في طرقه لهذا الغرض ،حيث لم يقصد وصف الطبيعة لذاته ،وإنما اتخذها وسيلة يلفت بها انتباه شباب الجزائر إلى ضرورة تطهير هذه البلاد الجميلة في طبيعتها و السخية في عطائها من مفاسد الاستعمار ،فينادي قائلا:

يَا فَتِية فِي حِمَى البَوادِي بَنِي رَحِم كَسَاكُمْ اللهُ–عِوضَا–عَنْ أَمْجَاد
سَكَنْتُمْ مِن ذَرَى الأَوْطَانِ فِي رَحِمِ مُحبّب سَاءَهُ مُسْتعمَرُ عاد
ومَد في أَرضهُ أَسْبَاب مُفسدَة وَجالَ فِي رَوْضة تِجْوَال حَصاد
قُومُوا لِحِفْظ تُراث مِنْ مَكَارِمَكمْ وَحَطَمُوا كُلُّ أَغلَال وَ أَصْفَاد
أَلاَ أدُّ أَبوا لِتعِيدُوا للحِمَى سَيْرا كَرِيمَة حَاطَهَا تاريخُ أَجْدَاد[3]

[1]_ديوان الربيع بوشامة ،المصدر السابق ،ص:72-73
[2]_المصدر نفسه ،ص:72-73
[3]-ديوان الربيع بوشامة ،المصدر السابق، ص:73-74

من هنا يظهر أن تغني الشاعر بسحر طبيعة بلاده ، ووصفه لخيراتها ، وخصب تربتها ،إنما هو تمهيد يحضّر به نفوس الشباب و يهيئ بواسطته أذهان الشعب ليلبي النداء و يستجيب للدعوة إلى استرجاع كرامة الوطن و مكانته ، كما كان في عزّ أيامه.

في أيام الربيع البهيجة ،خرج الشاعر برفقة تلاميذه في نزهة ،وفي هده النزهة ،تأمل الطبيعة الساحرة فبهره جمالها وذابت نفسه في ملكوتها ،وغمره إحساس غريب يفضي عن علاقة خفية بينه وبين هذه الطبيعة ،لقد أحس بأن في هدوء الربيع وغرق الطبيعة في صمتها ،ما يشبه حاله حين يتيه في بحر الذكريات و يضيع في فيافي الأحلام وهذا النوع من الإحساس جعل الشاعر ينفر من الواقع و ينأى عنه ، ليدنو أكثر من الطبيعة ،فيسمع كل منهما مناجاة الآخر ،يقول مخاطبا فصل الربيع:

أنتَ لِي فِي الزَمانِ خَير عَقيد نتناجَى بالرُوح أَو بالجُفُون
و نُجَاري الأَحْلاَم حِينا و نَحْلُو ذكرياتُ الصبَا ووحْي القُرون
أَنْتَ للكَون رُوح أُنْس وَنَحلُو منْكَ دنْيَا الصَفاَ وأَحْلى مُعين[1]

و يناجي الشاعر فصل الربيع مناجاة المحزون المكتئب, و لقد لاحت بشائره تكلم الشاعر و ترسم على محيا الطبيعة بسمة أبدية تحتفل من خلالها بموسم جديد من الفرح, قد حرم منها الشاعر و شعبه حيث يحتسب كلماته غصة في قلبه رغم إحساسه بجمال الربيع, و هذه الغصة كان سببها تلك المأساة التي كان يعيشها الشعب الجزائري من جراء المعاملات القاسية الاستعمارية التي يتعرض لها صباح مساء فيقول:

زُر حِمى الأطلسِ أَو دَع يا ربيع إننا عَنك لفي شُغل مَريع
لَيس فِينا من يُلاقيكَ بما شِئت مِن حُب وَ ترنيم بَديع
و يُناجيكَ عَلى كَأس الهَوى بَينَ أَيدي النُور و الزَهر اليَنيع
كُل منْ يَهواكَ أَحمى هَدفا للعَوادي السُود و الهَم الفظيع
هَبْكَ خَيَّمتَ فمن أَيْن نَرى وَجْهكَ النَظِر و قَد عَمَّ النجيع[2]

و قد تغنى الشاعر كذلك بالطبيعة الساحرة التي أعجز الله بها البشر في خيراتها و تنوع ثرواتها و جمالها التي سحرت لب الشاعر في أبيات يقول فيها:

[1] _ديوان الربيع بوشامة ، المصدر السابق ،ص:150 .
[2] _المصدر نفسه، ص:220

سِرُ دنيَايَ أنتَ رُوحُ الجَمال فِيك لي نُزهة وَ مَرعى خَيالي
مَن رَبُّ السَّماءِ مَعناكَ في الكَون فُنُون أحاطَه بالجلاَل
أَنتَ فِيضُ مَلائكِي لَطيفُ مِنْك أَهنَّى إذًّا و خَير نوَال
أَنتَ بالحَقِ رُوح خَير و نِعْمَة قَد تُنيلُ المحْرُوم حُسنُ مَوَال
إنَّ فِي سِحْرِك العَجيبُ لِسر يَبْعَثُ الرُوح فِي مَطَاوِي الجِبَال.[1]

فالأبيات تتمحور حول إعجاب الشاعر بالطبيعة الساحرة ، من خلال بنية التركيب الضمير" أنت" المكرر على مستوى الأبيات،إذ حققت حضور الذات المفقودة التي يبحث عنها الشاعر في الطبيعة و الدالة على الوطن بما فيه من أمان و راحة و طمأنينة ،و قد تجلت في الضمير" أنت" المشخص للجزائر برمزية جمالية لاقترانها بكل شيء ممتع حالم(الحق ، السحر، الجمال ، الملائكة ...) و نقد للمستعمر المدنس للخيرات الوطن.[2]

و له قصيدة أخرى يصف فيها الجبال، في تحصره عن الخراب و الدمار الذي أحدثته آلات الحرب الاستعمارية في طبيعة الجزائر قائلا:

كَمْ جِبَال مُخْضَرة الأَكْنافِ حَاليَا تَزْهى عَلى الأَرْيَاف
قَد رَمَتْهَا المِشَاة وَ الطيران فَأَذَابَت خَضْرَائها النِيرَان
لاَ تَرى مِن جَنَاتِها الغنَاء غَير هَذِه المناظِرِ السَوداء
كَمْ زَهى فِيها النُورُ و الرَائِعَات وَ تَغَنَت فِي أَيكِهَا الشَادِيَات
كَمْ أتتهَا الأرواحُ من كُلَّ أَوج خَاشِعَات تَرنُو بِحُب إِليها[3]

فالأبيات تتحرك في تكرار طرح الاستفهام لغرض تقرير الاستنكار على جرائم فرنسا عل الشعب و الأرض من حرق و تدمير، لتحسس المتلقي من حجم العنف و الإجرام الممارس على الجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية و إقناعه بالثورة كحل لإنقاذ الطبيعة من الخراب و التدمير و الشعب من الذل و الهوان .[4]

ويرحل الشاعر في ركاب الشوق والحنين إلى مسقط رأسه و مهوى الأحبة و مخدع الجمال ،ويسترجع الأيام الخوالي فتغني الشاعر بالوطن وجماله ما هو إلا فيض من وطنيته المقهورة ولم يجد له عزاء سوى التعلل لذكره وانكفاء إلى العهود الزاهية فوق ربوعه ، وعن مهد طفولته وصباه اهتز شوقا وحنينا ليقول:

[1]_ديوان الربيع بوشامة ، المصدر السابق،ص:140-141 .
[2]_مجلة علوم اللغة العربية و آدابها, منشورات جامعة الوادي, العدد,04,ص,ب,789,ولاية الوادي, الجزائرص13,14
[3]_ديوان الشهيد الربيع بوشامة ، المصدر السابق ،ص198.
[4]_ينظر: مجلة علوم اللغة و أدابها،المرجع السابق ،ص:16

حَبذَا العَيشُ فِي حِمَى قَنْزات مَوْطِن الآبَاءِ وَ الأُمَهَات
فِيكَ رَبيتُ وَ اكْتَمَلْت سَوِيا وَتَنَسَمَت أَوَلُ النَسَمات
وَتَذَوَقْتُ طَعْمَ أُنْسٍ وَنِعمَ وَاجْتَنَيتُ المنَى مِن الطَيبَات
وَفُنُون الأَطْرَاب وَاللَهْو لَيْلاً وَنَهاراً فِي الحِمَى وَ الرَوْضَات[1]

و يأتي الشاعر كذلك يسجل زلزال وقع ببلدة **"خراطة"** هذه البلدة التي كانت من جملة البلدان التي دمرت في مأساة 8ماي 1945 فيقف الشاعر عند ما أحدث الزلزال على هذه البلدة و سكانها الذين استبدلوا سكن الخيام وحياة الترحال بعد الديار و الاستقرار ،و البعض يترقب في خوف بطشت الزلزال ،و الآخر قد خربت ديارهم ولم يبق منها سوى الأطلال بل إنها قد تهدمت على سكانها الذين تكدسوا في كثل متراصة تحت الثرى المنهال فيقول:

قِفْ بِالحِمىَ....وأُنْظُرْ مَدَى الزِلْزال وَتَحَسَسَّ البُرَّكَان فِي إِقبَال
قَدْ شَقَ فوْهةً بَعِيدُ أَغْوَارَهَا يَرْمِي بِأَدْخِنةٍ ... نَذِيرَ خَيَال
خَرَاطَة بَاتتْ مَسارِحَ رُجةٍ كُبرَى تُوقِعُ أَرْوَعَ الأَهْوَال
وتَحُسُ فِي أَطْوَادِهَا وَسُهُولِها كَهزَة وَتمَايد فِعال
وَ البَعْضُ مِنْها قُوضَت أَرَكَانَها وَتَخَربت لمْ يَبق من أَطلاَل
وَ البَعْضُ يُبْكِي النَازِحِينَ وَيَرتَجي فِي كلَّ حين بَطَشَت الزِلزال[2]

ب/ الطبيعة الحية المتحركة :

لقد تفاعل شاعرنا مع الطبيعة المتحركة، فأبدع لنا صورا جميلة لعب الخيال في تأليفها، فوصف كل ما تقع عينه عليه ليعبر بذلك عن إحساسه المرهف اتجاه طبيعة بلده جراء ما لحق بها من خراب و تدمير، و نجده يصف الربيع عرس الطبيعة فيه تظهر في أبهى حللها لتعيش أبهج أيامها وهو عيد للأطفال يشاركون الطبيعة في فرحتها بأغانيهم التي ترددها الحقول و الوديان، فتحاكيها الطيور و ترقص لها الزهور. و عن كل هذا يعبر الشاعر بقوله:

[1] _ديوان لربيع بوشامة ،المصدر السابق ، ص:144،145
[2] _المصدر نفسه ،ص:152

عَادَ –إِن عُدتُ– للوُجُود جَمَال وَ جَلاَل وَ كُلُ طِيِّب وَ لين
قَد أَتى لِاسْتقْبَالِك اليَوم وَفد مُكْرم غَضَ الحِسُّ جَمَّ الحَنين
مِنْ صِغَارِ بِيضُ الوُجُوهُ عَطَاش كَالعَصَافير أَطْلَقَت مِنْ سُجُون
تِلْكَ أَنْغَامِهَا يُرِدِدُهَا الوَا دِي وَ يَسِر بِهَا خريرُ مُعين
وَ يُحَاكِيهَا الزَهْرُ و الطَيرُ نَشْوَة فِي عُرُوشِ الرِيَاض أَو فِي الرُكُون [1]

و لم تكن للطبيعة عند شاعرنا مظهر ثابت بل كانت صورة لكل شيء يمكن أن ترسمه ريشة الشاعر و مهما كانت دلالته أو تأثيره فنجده يرسم مواويل الناي في صورة من إبداع التعبير، و قد حفلت به كل الكائنات و سيطر عليها بكل دلالات الجمال، فما أن وقعت على سمعيه أنغام "الأرغن" حتى طربت نفسه و رقصت روحه و غمرت نشوة اللحن كيانه فثارت شاعريته ليصح بأبيات يصف فيها ذلك الشادي الذي" غمز الأرغن " ففتن الشاعر و السامع بألحانه و خاطب القلوب بأنغامه فملك النفوس و شرح الصدور و نشر الإنس فيقول في هذا:

غَمَزَ الأَرْغَنْ فَنْسَابَ النَغَم مَّهَزَ الرَأْسُ تِيهًا وَ اِبْتَسَم
شَادِن مُكْتَمِل جَمَ الرَوَا انَقَ الهَيْئَةِ لِمْاحِ اللَّهُم
يَجْتَلِي خَلْفَ زَهْرِ مَلِكِ مُلْهِمَ الرُوحُ خَفِيفُ كَالنَسم
فِي مَنَارِ أَقْمَرَ الضَّوءُ عَلَى مَنبرِ زَادَ الحَوَاشِي مُنْتظم
قَامَ فِيهِ النُورَ غَضًّا يَانِعًا يَنْشُرُ الأُنْسَ وَ يْجِلِ كُلَّ غم
وَ يُنَاغِي كُلَّ قَلْب مُفْصِحًا بِلُغَاتِ الرُوحِ عَنْ اسْمَى الحِكَم[2]

رسم الشاعر لوحة فنية عن حياة راع مغمور ، وصف فيها الجزائر التي يتمنى أن يعود لها الأمن و الهدوء و السكينة من جديد ، ففي جمالها يتدبر العابد المتفكر و يهيم كل محب لوطنه ويولع بألحانها ،فمن زاوية جبال الأطلس اليافعة يردد الشاعر قائلا:

[1] _ ديوان الربيع بوشامة ،المصدر السابق، ص149
[2] _المصدر نفسه،ص:146

وَرَاعٍ نَدَى الصَّوتُ مَرفُوع مُنِير عَلىَ صَخْرَةٍ مَلْسَاءٍ تَحْتَ الصَنَوبَر
يَعِيشُ وَحِيداً بينَ أَحضَانِ غَابَةٍ معَيشَةَ رُهْبَانٍ وَأَهْلُ التَفَكر
مُسَلسلة تُزْجَى بِهَمْس خَرِيرِها لُحونُ عِذَاب دُونَهَا نَفَث مُزْهر
مَحَاسن كَون بَثَّهَا اللهُ رَحمةً وآياتُ هدَى للغبي وَ المفَكر
وَأَوْدَعَهَا الغَابَاتُ و المَاءُ وَ الرُبَى وَ أَسْرَابُ أَغْنَامٍ وَطَيْرُ وَ أَنْمر[1]

فتنت الطبيعة الجزائرية وروعة جمالها ألهمتا الشاعر ألا يرى في الجزائر إلا الحسن التي امتزج فيها مع طبيعة وطنه امتزاجا عميقا جعل من ربوعها الأخاذ مسرحا لأحاسيسه و أفكاره وشخّص مظاهرها على نحو إنساني يزخر بالحركة و ينبض بالحياة .[2]

فما أشد وقع تلك الأنغام على الشاعر ،و ما أكبر أثرها على تلك النفس الشفافة بما تحمله من أحزان و أشجان و أسرار ، ومن ذكريات حسان إنها كتلة من الحوادث النائمة في أحشاء شاعرنا هيجتها تلك الألحان و فجرتها تلك الأنغام ، فتضاعفت عليه الهموم و لم يجد سلاحا يدفعها غير الدّموع و ذلك قوله:

إِيه يَا شَادِي حَنانَيْكَ لَقدْ هِجْتَ قَلْباً كَاسِفاً جَمَّ الأَلَمَ
وابْتَعَثْتَ الوَجْدَ فِيهِ بَعْدماَ سَكَنْتَ لوْعَتَهُ منذُ القِدَم
وتَوَارَتْ فِي ثَنَايَا كَبدِي و فُؤَادِي مِثْلُ نَار أَوْ لمم
لَحَنُكَ المحبُوب يُذكِي شَجَنِي ويُثِيرُ الهِمَمْ مَشْبوبَ الضّرَم
وامْسَحْ الدَّمْعَ رُوَيدًا-بِالْغِنَا- مِنْ جُفُونِي ،أَنْتَ أَوْلَى مِنْ رَحِم
أَنْتَ لَحْنُ الخُلْدِ مِنْ فِيضِ السَّمَا سَقاكَ اللهُ رَبيعا لِلْنَسَم[3]

وفي الأخير حاول الشاعر أن يسجل انطباعه من هذا الشادي ويبحث عن وصف يرضيه ويكفيه ،فتعجز الكلمات أن تحوي تلك الصفات فيلجأ إلى حشد مجموعة منه علها تفي بالمقصود حيث نعته مرة بالروح التي تنعش النفس ،و بالضوء الذي ينير الظلام،وأخرى بلحن الخلد و بالربيع مبهج الكون فيقول :

[1]_اديوان الربيع بوشامة ،لمصدر السابق ،ص:42 .
[2]_ جحيش سهيلة ،شعر شهداء الثورة (الربيع بوشامة أنموذجا) ،مذكرة ماجستير ، المرجع السابق ، ص:37
[3]_ديوان الربيع بوشامة ،المرجع السابق ص: 146-147

أَنْتَ رُوحُ مَسْعد هادِي الصفا يُنعِش النَّفْس وَيَسْمُو بِالهِمَم
أَنْت ضَوءُ سَاطع يَجْلو العَّمى وَيُنيرُ العَيشَ فِي دُنيَا الظَّلم
أَنْتَ فِيضُ الخُلْد مِن فِيضِ السَّمَا سَاقَاكَ اللهُ رَبيعا للنَّسم
تُبهِجُ الكونَ وَتُسْقيهِ الصفَا وَتُؤَاخِي بينَ ذِئب وَغَنم[1]

و في قصيدة أخرى يشيد الشاعر بالروح الاستشهادية باعتبارها مطلبا بطوليا ومتفائلا ساد بين أبناء الشعب الجزائري ، حيث اهتزت الطبيعة إجلالا لذلك لأنه ليس هناك أعظم من التضحية للروح وفي سبيل الوطن فالطبيعة الجزائرية الثائرة قد احتضنت المجاهد و المناضل ابن الوطن الغالي فردد الشاعر قائلا :

يَاشَهيدَ فِي زَهرَةِ العُمْرِ قَضى ظَّامِئاَ للعَلْياءِ وَللتَحريِر
حَسبُكَ اللهُ، قَد أَدَيتَ قُلوبا عِندَ مَهوَاكَ وَانطَفَأ كُلُّ نور
وبَّكَتكَ الطَّيرُ وَالغَابَاتُ أَسْرابا وَوَحْشُ الفلاَ وَصَّم الصُّخور
سَّوفَ يَنْمُو عَلَى دِمَائِكَ غَرسُ يَثْمُر العَّزَ وَالعلاَ فِي الدُّهور[2]

الجدول الآتي يبين مجمل القصائد التي تناول فيها الشاعر وصف الطبيعة بنوعيها :

الطبيعة الصامتة	الطبيعة الحية المتحركة
1_ يا ساحل المجد 2- مرحباً يا ربيع 3- الربيع الحزين 4- سر دنياي 5- فجيعة الطفولة	1-صدى الموسيقى في الشعر 2-مرحبا يا ربيع 3-رثاء شهيد 4-حياة راع مغمور

[1]_ديوان الربيع بوشامة ،المصدر السابق ،ص: 147 .
[2]_المصدر نفسه ،ص:206 .

ومما يتضح أن الشاعر "**الربيع بوشامة**" هام بجمال طبيعة وطنه ،فراح يلتمس فيها جمال صنع الخالق التي دنستها يد الطغيان ، فصورها جنة من جناة الخلد أو روضة من رياض الجنة فهي عنده أرض للعطاء و الخيرات حيث امتزج بها فباح لها لهمومه وأشجانه لتتحول الطبيعة بدلك من كيانها المادي المباشر إلى حياة نابضة يمتزج بها ويبوح لها بكل خواطره ومكنونات نفسه ،كما امتزجت طبيعة وطنه بالمواقف البطولية و التضحيات الجسام فاستحقت أن يتغنى بها الشاعر في وطنياته المفعمة بروح النضال و المقاومة .

خاتمة

إنَّ شعر الطبيعة في الأدب العربي قديم أصيل ،إذ نجد العديد من الصور في وصف الطبيعة وذلك عبر مختلف العصور الأدبية ومن هنا حاولنا جمعها في النقاط الآتية التي تمثل النتائج المستخلصة من البحث :

* إن الشعر الجاهلي قد ألقى بظلاله على وصف الطبيعة مند القدم ،و ما يدل على دلك دواوين الشعراء الجاهليين إذ لمسنا ارتباطا شديدا بين الشاعر و بيئته .

*تطور هذا الفن مع مجيء الدعوة الإسلامية ، مما ساعد على ظهور شعر الوصف خاصة وصف الطبيعة بنموه وبزوغه بجوانب فنية جديدة ، ولم يبتعد الشعراء عن رسوم الجاهليين.

*وفي العصر الأموي وأقبل الشعراء على ألوان الطبيعة المختلفة و صوروها شعراً، فامتثلوا امتثالا ثم أخذوها في صدق وأفعال فبدت جديدة ممتلئة حياة و نشاط .

*أما في العصر العباسي ازدهرت الحياة الثقافية ، و تابع العباسيون اهتمامهم بالطبيعة في إطار تطورهم الحضاري ، ولهذا سمي بعصر النهضة والازدهار ،فقد تعدد الشعراء فيه واستفحل الصراع القائم بين الأكثرين منهم رجاء تحقيق مكانة مرموقة وتخليد أسمائهم في سجل خلود المبدعين،مما دفع الكثير من الشعراء إلى توخي حسن التصوير واستقطاب أفضل الصور الفنية وأغربها ,

* وشاع هذا الغرض في بلاد المغرب بفعل سحر الطبيعة الرائعة وانعكاسها في نفوس أبناءها من الشعراء ، فبلاد المغرب تشتهر بطبيعة فاتنة ، وهي طبيعة سحرت ألباب الشعراء ففتنوا بمفاتنها ومشاهدها ، فقد ارتبطوا بطبيعة بلادهم الجميلة وأكثروا من شعر الوصف لجمال طبيعتهم ، وروعتها الخلابة ،فجسدوا ذلك في لوحات فنية مبدعة تكشف مدى إعجابهم بالطبيعة التي تحتضنهم ، ولم يكتف هذا الوصف بجعله منحصرا وضيقا في موضوع واحد بل انفتح نحو مختلف مواضيع أخرى وامتزج بها وأصبح أوسع الأبواب ....

*تميز شعر وصف الطبيعة في الشعر الجزائري القديم عن نظيره في الحديث أن الشاعر كان دقيقا في وصف صورها وكأنه يرسم لوحة فنية تراها تتحرك أمامه في صورة حقيقية ،أما في العصر الحديث فقد تناول الشعراء موضوع الطبيعة في سياق همومهم وأحزانهم ولم ينظروا إليها من جانبها الجمالي إلا نادراً.

*إن تأثر الشعراء الجزائريين بالجانب الوجداني الرومانسي، ساعد على ظهور شعر وصف الطبيعة بمختلف صورها وأشكالها .

* تناول الشعراء الجزائريين الطبيعة و أسقطوا عليها صفات إنسانية ،حيث خاطبوها كما يخاطب الإنسان أخاه فالكآبة التي كانوا دائمو العيش فيها بسبب الظروف الاستعمارية القاسية جعلتهم يلجأون إلى الطبيعة يناجونها ويلتمسون منها الخلاص من هذا الوضع المزري .

*إن حياة الشاعر الربيع بوشامة كانت مليئة بالصراعات و الحروب ،مما جعله يناجي شعبه ويدعوه إلى الكفاح والنضال من أجل القضية الوطنية .

*كان الشاعر ذو إحساس مرهف وذوق الفني الرائع ما جعله يتناول الطبيعة في شعره بمختلف صورها ،ويختار لها ألفاظا موحية و مناسبة لحالته النفسية وهذا ما يؤكد لنا أنه كان مولعا بطبيعة بلاده ومساندا لقضايا شعبه .

*جاء شعره عاكسا لطبيعة بلاده الساحرة ، ونداءا للشعب الجزائري لدفاع عن بلادهم من أجل الحرية و الاستقلال.

قائمة المصادر والمراجع

فهرس المصادر و المراجع

1-إبراهيم رماني –المدينة في الشعر العربي الجزائري،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر و التوزيع، الجزائر ن ط، 2002

2-أبي تمام –شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبدوا عزام ،م2 ،ط4 ،دار المعارف ،1119 كورنيش النيل القاهرة

3-أحمد سحنون –الديوان –الحبر للنشر و التوزيع، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ،ط2 ، .2007

4- جمال قنان ، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، دار هومة للطباعة النشر و التوزيع، الجزائر2010

5-ذي الرُّمة ،تقديم و شرح :أحمد حسن –دار الكتب العلمية –سنة 1971 بيروت –لبنان ،ط2

6- سعد بوفلاقة –دراسات في أدب المغرب العربي، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية .2007

7- سليم كرام –الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، أحمد سحنون (أنموذجا) ،الجزائر وزارة الثقافة .

8-شريبط أحمد شريبط ،ديوان الرماد ، دار النشر و التوزيع ،الجزائر ،.1969

9-شوقي ضيف –تاريخ الآداب العربي –العصر الجاهلي، دار المعارف، ط1، 1119، النيل، القاهرة .

10-شوقي ضيف –تاريخ الآداب العربي2-العصر الإسلامي، _دار المعارف بمصر ، النيل،القاهرة ، 1119

11-شوقي ضيف –تاريخ الآداب العربي-عصر الدول والإمارات،دار المعارف ،1119 كورنيش النيل ،القاهرة

12-صالح خرفي –أطلس المعجزات ، دار النشر و التوزيع الجزائر، ط1 ، .1986

13- الصالح بوشامة –الربيع بوشامة حياته وشعره ، منشورات نوميديا للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2013

-طاهر توات ،ابن خميس التلمساني –حياته وشعره-الجزائر عاصمة التقافة العربية ط1، 142007

15-الطاهر يحياوي – تشكلات الشعر الجزائري الحديث، وزارة الثقافة للنشر و التوزيع، ط1، 2013،الجزائر

16-عبد الحميد هيمة –الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري ،اتحاد الكتاب الجزائريين ،دار هومة ،ط 1، الجزائر .2003

17-عبد الله الركيبي –دراسات في الشعر الجزائري الحديث ،دار الكتاب للنشر و التوزيع ،الجزائر 1432هـ،2011م.

18-عمر بوقرورة –الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، منشورات جامعة باتنة . ن ط 1997

19-عمر فروخ –تاريخ الأدب العربي.، ج1، دار العلم للملايين ، ص –ب،1985، بيروت.

20- الفرزدق –تقديم أ/علي فاعود –دار الكتب العلمية،جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب العلمية ،بيروت ، ط1_1787

21- لبيد بن ربيعة –شرح الطوسي، تقديم :د/حنا نصر الحق /دار الكتاب العربي ،جميع الحقوق محفوظة ،بيروت ،ط1، 1414هـ/1993م

22- محمد الطمار –تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.

23-محمد أبي خمار- ظلال و أصداء، دار النشر و التوزيع ،الجزائر ط1982،1 .

24-محمد إسماعيل عبد الله الصاوي –شرح ديوان جرير –مطبعة الصاوي، بشارع الخليج المصري رقم 5294.

25-محمد الأخضر السائحي –ديوان همسات وصرخات دار النشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1981

26-محمد العيد آل الخليفة –الديوان، دار النشر و التوزيع ، الجزائر ،ن ط ، .2008

27-محمد بن رمضان شاوش –الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.

28-محمد صالح ناصر –الشعر الجزائري اتجاهاته وخصائصه الفنية ، ج1 ،وزارة الثقافة ، عالم المعرفة للنشر و التوزيع 2013.

29- محمد صالح ناصر –الشعر الجزائري من الرومانسية إلى الثورية ، وزارة الثقافة ، الجزائر ،ن ط ،2013

30– محمد صالح باوية – أغنيات نضالية، دار النشر و التوزيع ، الجزائر ،ط1 ، 1971

31-محمد صالح خرفي – جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر ،موفوم للنشر وحدة الرغاية ، الجزائر ن ط ، 2014

32-محمد مرتاض –الشعر الجزائري القديم ، الجزائر وزارة الثقافة .

33-مفدي زكريا ، ديوان اللهب المقدس ، دار النشر للتوزيع ، ط1 ، 1983

34- امرؤ القيس – ضبطه وصححه .أ/مصطفى عبد الشافي ، دار المعارف، ط1- 1119، النيل، القاهرة.

35- نوري حمودي القيسي –الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،ص ب 6348

36- نوار الدين لا بري –ديوان سليمان العناني ،دار هومة للنشر و التوزيع ،2003،الجزائر

37- يوسف ناوي –الشعر الحديث في المغرب العربي ، دار توبقار للنشر ج2 ، ط1 ، دار البيضاء المغرب ،2006

الرسائل:

38- جحيش سهيلة –شعر شهداء الثورة (الربيع بوشامة أنموذجا)، شعر شهداء الثورة (الربيع بوشامة أنموذجا) مذكرة ماجستير في الأدب الجزائري،د/أحمد جاب الله ،جامعة العقيد الحاج لخضر –باتنة-2008/2007

39- عبد العزيز نقبيل –شعراء المغرب الأوسط النازحون إلى القيروان قبل خرابها ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي تخصص أدب مغربي قديم ل/د/عيسى مدور ،جامعة الحاج لخضر 2009.

40- ملاس مختار –جمالية الأشياء في الشعر الجزائري المعاصر ، رسالة دكتوراه ، إشراف د/ محمد العيد تاورتة ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة ،2007-2008.

المجلات:

41- مجلة علوم اللغة وآدابها –منشورات جامعة الوادي، العدد,04,ص,ب,789,ولاية الوادي, الجزائر.

42- مقدمة الطاهر بوشوشي من قصيدته (أحلام الصيف)مجلة هنا الجزائر 1954/11/29.

فهرس
الموضوعات

البسملة	
شكر وعرفان	
إهداء(1)	
إهداء(2)	
مقدمة	أ – ب
مدخل : الطبيعة في الشعر العربي	10–4
الفصل الأول : الطبيعة في الشعر الجزائري	38–11
أ:الشعر الجزائري القديم	18–12
ب:الشعر الجزائري الحديث.....	38*19
الفصل الثاني:الطبيعة في شعر الربيع بوشامة.....	55–39
_أولا: نبذة عن حياة الشاعر	43–40
–ثانيا:الاتجاه الوجداني في شعر الربيع بوشامة:	46–44
–ثالثا: الطبيعة في شعر الربيع بوشامة.....	53–47
أ_الطبيعة الساكنة الميتة.....	51–47
ب_الطبيعة الحية المتحركة.....	55–51
خاتمة	58–56
قائمة المصادر و المراجع	62–59
فهرس الموضوعات	64–63